2me Année, No. 67.

Lundi-15-10-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـدد ٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٥٣ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـدد

شـــوقى ... !

بمناسبة ذكراه الثانية

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لقد خرج فى هذه الدنيا شعراء ما أحسب أحداً منهم كان يستطيع ألّا يكون شاعراً . لقد تتصل الشاعرية بالطبع والجبلّة . وليس بمَلك المرء أن يخرج عن جبلّته وطبعه . ولست أجد مثلاً أضرب به لهذا الطراز من الشعراء أبلغ من أبى نواس فى الغابرين ، وأحمد شوقى فى المحدثين . وأغلب اعتقادى أن الشاعر من هؤلاء حين ينزل عليه الشعر لا يقدر على صرفه عنه أو حبس لسانه أو قلمه عن الجريان به إلا برياضة ومطاولة وجهد .

هؤلاء يطلبهم الشعر أكثر مما يطلبونه ، ويتغشّاهم البيان أكثر مما يتصدون له ، ويتجرّدون فى اصابته .

ويحسبك أن تطالع دواوين شوقى — والحديثُ فيه اليوم — لتعلم أنه لو كان رزق أعظم حظ من العزم والقوة والجبروت ما كان ليقوى على كتم شاعريته الفائضة الجيّاشة . وهيهات للسدّ بالغاً ما بلغ من المتانة والمناعة أن يكفّ النيل عن جريانه ، وأن يكبح إذا طغى من طغيانه !

تقرأ شعر شوقى ، فتتعاظمك هذه الكثرة الكثيرة من فاخر الشعر وبارع الصنعة وروائع البيان . ويذهب العجب بك كل مذهب ، وتروح تتساءل : أية قوة بدنية هذه التى احتملت كل هذا المجهود الفكرى ؟ وكيف تهيأ لهذا الرجل أن يعيش ما عاش ! . . .

والواقع الذى لا يتداخله الشك أن شوقى لم يكن على حظ كبير من صحة البدن ، بل لقد تستطيع أن تقول إنه كان رجلاً مضعوفاً مختلّ الأعصاب من أول نشأته . فاذا طلبت السرّ فى شأنه ، فالسر كله فى أنه لم يكن يجهد فى قرض الشعر ، لأنه لا يتكلَّفه[1] ولا يتعمّل كما قلت لك ، فى طلبه ، ولا يُرهف فى ذلك حساً ولا يحد عصباً ، إنما هو الينبوع ينبثق فيجرى الماء دفقا ما يحتاج الى متح ماتح

نعم ، لقد كانت تكاليف الحياة تقتضى شوقى كما تقتضى غيره أن يستفتح الشعر ويبعثه فى مديح ، أو رثاء ، أو تهنئة ، أو فى غير ذلك من الأسباب الخاصة أو العامة التى لا يرى بداً من القول فيها . على أنه لا يكاد يُقبل على صناعة الشعر فيما طلبه ، حتى تتحرك شاعريته ، فتجرّه عما هو بسبيله جراً ، وتملى عليه هى ما تشاء أكثر مما يملى عليها هو ما يريد . ولست أطلب فى هذا دليلاً أبلغ من أن شوقى لم يمدح أحداً قدر ما مدح سمو الخديو السابق . على أنه حين جرّد تلك القصائد من ذلك المديح ليدخلها فى ديوانه ، ظلت سوية قوية رائعة بما فيها من رقيق غزل ، أو من بارع وصف ، ومن بالغ حكمة وجليل مثل ، كأن لم تفقد شيئاً ، ولم يُعوزها شىء ! . .

إذن كان شوقى شاعراً مطبوعا أتم طبع ، سرياً أجزل السَّراء ، موفقاً الى أبعد غايات التوفيق .

تصرف فى فنون الشعر كلها فما ضعف قط فى واحد منها ، بل قل أن يتعلق بغباره فى أى باب من أبواب القصيد شاعر ، اللهم خلا الهجاء ، فلم يؤثر عنه فيه بيت واحد . ولعل ذلك يعود ، كما قلت فى (مرآته) ، الى لطف نفسه ، وأنفته من أن يشتهر الناسَ ويطلب معايبهم ، أو لعله يعود الى الخوف والورع من أن يزيد فى

(1) يقال كلف الأمر : حمله على مشقة .

ثورة خصومه به ، أو لعله فطن الى أن الزمان سيعفّى على هذا الضرب الحقير من الشعر . وما أحسبه لو عالجه إلا موفياً فيه على الغاية والاحسان . على أن الله تعالى كان ألطف به من أن يدلّيه فى هذا الهوان

وإذا كان عجباً من كثير من الشعراء أن يكون حظهم من البراعة فى فنون الشعر بدرجة سواء — فان هذا من شوقى وأمثال شوقى غير عجيب . فالرجل ، كما زعمت لك ، لا يملك من شاعريته أكثر مما تملكه شاعريته . وما إن اجتمع لقول الشعر ، ومضى يجيل الفكر ويُطير الخيال ، إلا ملكته تلك الشاعرية عن نفسه ، وراحت تجوده بالهاتن الحنان من وحى القريض . فان أصابت ما احتفل له ، وإلا ففى فنون المعانى الآفاقُ العِراض . وأرجوك أن تراجع شعر شوقى فى كل ما يتورط فيه الشاعر ، ولا ينبعث له من نفسه لو كان أمره كله اليه ، لتزداد إيماناً بما أقول

وأرجوك ألا تحسبنى غالياً ولا متزيّداً إذا زعمت لك أن شوقى كان فى بعض الأحيان ، بل فى كثير من الأحيان ، يتخطى إدراكه العادى . أعنى أنه لقد كان يصيب ألواناً من المعانى لو أنك راجعته فيها غَداة نظمها لاحتاج فى فهمها الى فكر وتدبير . . ولقد وقع لى أكثرُ من مرة أن راجعته فى بعض شعره أرى أنه قد مسّ فيه معنى رفيعاً جداً ، ولكن اللفظ أقصر من أن يطوله بواضح البيان ، وإنى لأضمر ما ألمح ، وأحياناً ما كان يلمح غيرى ، فاذا هو بادىء الرأى كقارئه متحير متردد ، وإذا هو فى فهم مرامى الكلام فى حاجة الى جس وإلى استخبار ![1] وأريد أن أقول لك إن هذا الرجل لقد كان يفاض عليه ساعة وحى الشعر ما لم يكن لفكره فى الحساب . ولقد ذكرت هذا من بضعة أيام لنفر من الأدباء ممن كانت لهم صلة بشوقى ، فأكد لى بعضهم أنه وقع له مثله مع هذا أمير الشعراء .

صنعة شوقى

وإذا كان لهذا الشاعر صنعة ، أو كان له فى شعره ما يعد من

(1) أشار الكاتب إلى هذه الحالة من شوقى فى (المرآة) التى جلاها له فى « السياسة » الأسبوعية .

عمله ، فهو احتفاله للمعنى أولاً ، فان واتى اللفظ ولان و تَصنع وأشرق ، وإلا فلامّ هذا اللفظ الهَبَل !.

لم يكن شوقى إذن يكلف بالديباجة ، ولا يجهد فى تسوية اللفظ وصقله ، ولكنه مع هذا لقد يجىء بالعجب العاجب ! بل لقد استحدث شوقى فى العربية صيغاً أوفت على الغاية من حلاوة اللفظ ، ومتانة النسج ، وقوة الاشراق . وأحسب أن قوة المعانى هى التى أرادته على هذا ودفعته اليه دفعاً

ولقد كان مما يعدّ على شوقى أنه يكثر من الغريب فى شعره ، حتى لقد كان يُضطر هو الى تذييل ما يُفشى من قصائده فى الصحف بالشرح والتفسير . ولا أحسب هذا سائغاً فى العصر الذى نعيش فيه ، بل إنى لأزعم أن محصول شوقى من متن اللغة لم يكن يُواتى هذا القدر الذى يشعره استكثارُه من الغريب فى قصيده ، فلقد كنت تسأله معنى الكلمة المفردة تكون قد خلت فى بعض شعره ، فاذا هو لايدريه فى بعض الأحايين . وإننى لأرجح أن الرجل لم يكن يعمد بهذا للتكثر بسعة العلم ، ووفرة المحصول من اللغة ، ولكن لأنه كان يصيب من دقائق المعانى ما لا يتيسر له أداؤه باللفظ الشائع ، كما كان يطيل أحياناً كثيرة فى القصائد إطالة يحتاج معها الى الكدّ فى التماس القوافى ، فكان يضطر فى هذا وفى هذا الى التماس الألفاظ من القواميس ينتزعها انتزاعاً .

التجديد والمجددون

وهنا أحب أن أقول شيئاً يسيراً فى التجديد والمجددين ، وإننى أوجه هذا الكلام ، بنوع خاصّ ، الى الناشئين من المتأدبين

إذا كان من آيات الحياة فى الكائنات تطوّرُها ، ونموها ، وتجدّدها . فالأدب ، ولاشك ، من هذه الكائنات التى لا تكتب لها الحياة إلا على التطوّر والنموّ والتجديد ، وإلا كان ميتاً أو أشلّ على أيسر الحالين

ولكننى أحب أن ألفت فى هذا المقام ، الى مسألة قد تدق أفهامَ الكثير أو القليل . وتلك أن هناك فرقاً بين التربية والتجديد ، وبين المسخ والتغيير . ولست أجد مثلا أسوقه فى هذا الباب خيراً من حياة الطفل وحياة النبات . كلاهما ينمو ويربو ، وكلاهما يطول ويزكو ، حتى يبلغ الحدّ المقسوم لكماله ؛ وقد تتغير بعض معارفه ، وقد تحوُل بعض أعراضه ، ولكنه ، فى الغاية ، هو هو لا شىء آخر ، فحسَنُ الوليد ، هو حسن الطفل ، هو حسن الفتى ، وهو حسن الشاب ، هو حسن الكهل ، وهو حسن الشيخ ؛ وتلك الفسيلة الصغيرة ، هى هذه النخلة الباسقة ، كلٌّ نما وربا بما دخل عليه من الغذاء ، وما اختلف عليه من الشمس والهواء

لقد أصاب كل منهما ما أصاب من أسباب التّربية والأزكاء ، فاحتجز منها ما واءمه وما تعلّقت به حاجته ، ونفى عنه ما لا خير له فيه وما لا حاجة به إليه . ثم أساغ ما أمسك وهضمه ، فاستحال دماً يجرى فى عِرقه ، ويزيد فى خَلقه .

ولا شك فى أن لأدبنا العربى عناصر ، وله مقوّمات ، وله شخصية بارزة معينة ، فمن شاء فيه تجديداً — ومن الواجب الحتم على القادرين أن يجددوا — فليتقدم ، ولكن من هذه السبيل .

ولا تنسوا أن من أهم هذه المقومات ، إن لم يكن أهمها جميعاً ، هو صحة العربية وتحرّى فُصَحها . فمن تهاون هذا وتجاوزه ، فليس مايصنع من الأدب فى شىء أبداً . ومما يتّصل بهذا المعنى ما إخلى لا أخطئ إذا دعوته تقاليد العربيـة ؛ فللعربية كسائر اللغات القوية تقاليدها المأثورة على الزمان .

وهنالك مقوّمان آخران لهما خطرهما العظيم ، ألا وهما التخييل والذوق العام . ولا أحسبك تنكر أن لكل أمة ذوقها الخاص بها فى كثير من أسباب الحياة ، ولقد تشارك غيرها من الأمم فى بعض هذا ، ولقد تفارقها فى بعض فراقاً شديداً أو يسيراً

أما التخييل فقد قلت لك فى مقال مضى إن خيال المرء مهما حلّق وعلا ، ومهما أسرف وغلا ، فهو لا يمكن أن يخرج عن كونه مجرد تلفيق من الحقائق المحسّة الواقعة . وأنت بعدُ خبير بأن أصدق خيال وأروعه ، وأن أحكم تشبيه وأطبعه ، هو ما اشتقه الشاعر مما يحيط به وبقارئه ، ويقع لأسماعهما ولأبصارهما جميعاً . وإلا نبا عن السمع ، ونشز على الطبع ، ولو كان بالغاً غاية الغاية فى بيئة أخرى .

نعم ، لقد يشهد الشاعر من مجالى الطبيعة ما لم يشهد عامّة

قومه . ولقد يظهر على كثير مما افتضحت به بلاغات أئمة البيان فى الأمم الأخرى . ولقد يتذوق هذا فى لغاتهم ، ويتأثر به الى حد بعيد ، ولقد يرى أن ينقل ما يطول من ذلك الى معشره بإخراجه فى لغتهم لينعّمهم ويلذّهم ويرهف حسهم ، ويفتق فى أذهانهم ، ويفسح فى أدبهم بإدخال جديد عليه ، وإضافة بديع من الآداب الأخرى إليه ، فإن له من ذلك ما يحب ، على أن يصوغه فى صحيح لغته ، ويطبعه على غرار أدبه ، ويحتال على تسوية خَلقه ، حتى يصبح تام المَشابه بما ألِف قومُه ، حتى لا يُحسوا فيه غَرْبة ، ولا يشعروا منه بوحشة ، فإذا وفق الأديب الى هذا وأجاده وأحكمه فهو المجدد التام

شوقى امام المجددين

ولقد ضرب شوقى فى الأرض كثيراً ، ورآى من صور الطبيعة ومن بدائعها ما لم تتهيأ رؤيته لكثير . وقرأ فى الفرنسية لأئمة البيان فى الغرب ما لا يكاد يملكه الاحصاء . ولقد أساغ ما استعار ، وجرى فى أعراقه طلقاً ، واستطاعت شاعريته الفخمة أن تجلو منه ما شاء أن يجلو عربياً خالصاً لا شك فيه . وهذه دواوينه تزخر بهذا البدع زخراً

فاللهم إن كان التجديد ما ذكرنا فشوقى إمام المجددين فى هذا العصر غير مدافع . أما إن كان التجديد هو المسخ ، واستحداث صور شائهة ، واستكراه ألوان من المعانى لا تمت إلينا بسبب ، على صيغ لا هى بالعربية ولا هى بالأعجمية ، فاللهم اشهد أن شوقى ليس مجدداً بل ليس شاعراً أبداً !

***

ولقد جال شوقى بشعره فى كل غرض ، وقصد كل قصد ، وأصاب من كل معنى ، وطال نفَسه فى أكثر قصيده إلى ما لم يطله كثير من أنفاس الشعراء ، فما ضعف ولا تخلخل ولا أسف ، ولا فسلت أخيلته ، ولا شاهت معانيه ، بل لقد يأتى أكثر ما يأتى بالجوهرى الرائع من حرّ الكلام

وليس شوقى بالذى يُستدل على مكانه بالبيت أو البيتين فى القصيدة ، أو بالقصيدة والقصيدتين فى الديوان ، بل إذا طلبت عليه دليلاً فهذه دواوينه ، شُقّ منها ما تشاء ، وقَعْ منها على ما تريد لك المصادفة ، فلن تصيب إلا أرفع الشعر وأفخر الكلام .

***

وبعد ، فلقد مات شوقى ، وانحسمت جميع أسبابه من الدنيا ، وفرغ من مودّات الناس ومن عداواتهم ، وأصبح شعره حبساً على التاريخ . فمن كان يرى حقاً أن شوقى لم يبلغ هذه المنزلة ، أو أنه لم يبلغ بعضها ، أو أنه لم يكن شاعراً ألبتة ، فهذا له رأيه ، وعليه تبعته . ولا حيلة لنا ولا لغيرنا فيه . وأما من يقدر شوقى حق قدره ، فينزله هذه المنزلة أو ما هو أقرب إليها ، فمن واجب الذمة أن يشيد بقدره ، ويدل على جلالة محله ، لا قضاء لحق الانسان وحده ، ولا أداء لشكر النعمة فحسب ، فلقد كان شوقى نعمة عظمى أسبغها الله على أبناء العربية جميعاً ، بل لاستدراج نشء المتأدبين إلى استظهار شعره ، وإنها لهم من أدبه ، واتخاذه النموذج المحتذى إذا اجتمع أحدهم للبيان

هذا واجب الذمة للحق وللبيان جميعاً ، وخاصة بعد هذا التبلبل الذى لا أحسب أن البيان العربى شهد مثله فى أىّ عصر من عصور التاريخ . وحسبى هذا ، فما أحب أن أقذف بنفسى فى هذه الحرب الناشبة من أنصار قديم وأصحاب جديد .

عبد العزيز البشرى

من قول شوقى يصف تمثال نهضة مصر ويشير الى المرحوم المثال مختار :

تعالوا تروا كيف سوى الصفاة	فتاةً تلملم سربالها
دنت من أبى الهول مشىَ الرؤوم	الى مقعد هاج بلبالها
وقد جاب فى سكرات الكرى	عُروض الليالى وأطوالها
وألقى على الرمل أرواقه	وأرسى على الأرض أثقالها
يخال لأطراقه فى الرمال	سطيح العصور ورمّالها
فقالت : تحركْ فَهَمَّ الجماد	كأن الجماد وعى قولها
. . . .	. . . .
وما الفن إلا الصريح الجميل	إذا خالط النفس أوحى لها
وما هى إلا جمال العقول	إذا هى أولته إجمالها

قصة زواج

وفلسفة المهر

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال رسولُ عبد الملك: ويحك (يا أبا محمد) لكأن دمَكَ والله من عدوك فهو يفور بك لتَلِجَّ في العناد فتُقتَل، وكأني بك والله بين سَبُعَيْن قد فغرا عليك؛ هذا عن يمينك وهذا عن يسارك، ما تفرّ من حتف إلا إلى حتف، ولا ترحمك الأنياب إلا بمخالبها.

ههنا هشام بن اسماعيل عاملُ أمير المؤمنين، إنْ دخلته الرحمة لك استوثق منك في الحديد، ورمى بك إلى دمشق؛ وهناك أمير المؤمنين؛ وما هو والله إلا أن يطعم لحمك السيف يَعَضُّ بك عضّ الحية في أنيابها السمّ؛ وكأني بهذا الجنب مصروعاً لمضجعه، وبهذا الوجه مُضَرَّجا بدمائه، وبهذه اللحية مُعَفَّرَةً بترابها، وبهذا الرأس مُحْتَزّا في يد (أبي الزُّعَيْزِعَة) جلاّد أمير المؤمنين، يلقيه من سيفه رَمْيَ الغصن بالثمرة قد ثقلتْ عليه.

وأنت (يا سعيد) فقيه أهل المدينة وعالمها وزاهدها، وقد علم أمير المؤمنين أن عبد الله بن عمر قال فيك لأصحابه: «لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لَسَرَّه» فان لم تَكرُمْ عليك نفسك فَلْيَكْرُمْ على نفسك المسلمون؛ إنك إن هلكت رَجَعَ الفِقْهُ في جميع الأمصار إلى الموالي؛ ففقيه مكة عطاء، وفقيه اليمن طاووس، وفقيه اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه البصرة الحسن، وفقيه الكوفة ابراهيم النَّخَعيّ، وفقيه الشام مكحول، وفقيه خراسان عطاء الخراساني. وإنما يتحدث الناس أن المدينة من دون الأمصار قد حرسها الله بفقيهها القرشيّ العربيّ (أبي محمد سعيد ابن المسيِّب) كرامةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد علم أهل الأرض أنك حَجَجْتَ نيفاً وثلاثين حَجّة، وما فاتتك التكبيرة الأولى في المسجد منذ أربعين سنة، وما قمت إلا في موضعك من الصفّ الأول، فلم تنظر قطُّ إلى قفا رجلٍ في الصلاة؛ ولا وجد الشيطان ما يعرض لك من قِبَلِه في صلاتك ولا قفار رجل؛ فالله الله يا أبا محمد، إني والله ما أغشّك في النصيحة؛ ولا أخدعك عن الرأي، ولا أنظر لك إلا الخير ما أنظر لنفسي؛ وإن عبد الملك ابن مروان من عَلِمْتَ؛ رجلٌ قد عمّ الناس ترغيبه وترهيبه، فهو آخذُك على ما تكره إن لم تأخذه أنت على ما يُحِبّ؛ وإنه والله يا أبا محمد، ما طَلَبَ إليك أميرُ المؤمنين إلا وأنت عنده الأعلى، ولا بعثني إليك إلا وكأنه يسعى بين يديك، رعايةً لمنزلتك عنده، وإكباراً لحقك عليه؛ وما أرسلني أخطُب إليك ابنتك لوليّ عهده إلا وهو يبتذل نفسه إليك ابتذالاً ليَصِلَ بك رَحِمَهُ، ويُوَثِّقَ آصرته؛ وإن يكن الله قد أغناك أن تنتفع به وبمُلْكه وَرَعاً وزهادة، فما أحوج أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتفعوا بك عنده، وأن يكونوا أصهارَ (الوليد) فيستدفعوا شرّاً ما بهم عنه غنى، ويجتلبوا خيراً ما بهم غنى عنه؛ ولستَ تدري ما يكون من مصادر الأمور ومواردها. وإنك والله إن لَجَجتَ في عنادك وأصررْتَ أن تردّني إليه خائباً، لَتَهِيجَنَّ قَرَمَ سيوف الشام إلى هذه اللحوم ولحمُكَ يومئذ من أطيبها. ولأمير المؤمنين تارتان: لينٌ وشدة؛ وأنا إليك رسول الأولى، فلا تجعلني رسولَ الثانية . . .

***

وكان أبو محمد يسمع هذا الكلام وكأنه لا يَخلُص إلى نفسه إلا بعد أن تتساقط معانيه في الأرض، هيبةً منه وفرقاً من إقدامها عليه؛ وقد لان رسول عبد الملك في دهائه حتى ظن عند نفسه أنه ساغ من الرجل مساغ الماء العذب في الحلق الظامىء، واشتدّ في وعيده حتى ما يشكّ أنه قد سقاه ماء حميما فقطّع أمعاءه؛ والرجل في كل ذلك من فوقه كالسماء فوق الأرض، لو تحوّل الناس جميعاً كنّاسين يثيرون من غبار هذه على تلك لما كان مرجع الغبار إلا عليهم، وبقيت السماء ضاحكة صافية تتلألأ.

وقلّب الرسولُ نظرَه في وجه الشيخ، فاذا هو هولٌ ليس فيه معنى رغبة ولا رهبة، كأنْ لم يجعل له الأرض ذهباً تحت قدميه في حالة، ولم يملأ الجو سيوفاً على رأسه في الحالة الأخرى؛ وأيقن أنه من الشيخ كالصبيّ الغرّ قد رأى الطائرَ في أعلى الشجرة

فطمع فيه فجاء من تحتها يناديه : أن انزل إلىّ حتى آخذك وألعب بك . . .

وبعد قليل تكلم أبو محمد فقال :

« ياهذا ، أمّا أنا فقد سمعت ، وأما أنت فقد رأيت ، وقد روينا أن هذه الدنيا لاتعدل عند الله جناح بعوضة ، فانظر ماجئتني أنت به ، وقسه إلى هذه الدنيا كلّها ، فكمْ — رحمك الله — تكون قد قسَمْتَ لي من جناح البعوضة . . . ؟ ولقد دُعيت من قبل إلى نيفٍ وثلاثين ألفاً لآخذها فقلت : لاحاجة لي فيها ولا في بني مروان ، حتى ألقى اللهَ فيحكم بيني وبينهم . وهأنذا اليوم أُدعى إلى أضعافها والى المزيد معها ؛ أفأقبض يدي عن جمْرة ، ثم أمدّها لأملأها جمراً ؟ لا والله مارغب عبد الملك لابنه في ابنتي ، ولكنه رجلٌ من سياسته إلصاق الحاجة بالناس ليجعلها مَقادةً لهم فيُصَرِّفَهُم بها ؛ وقد أعجزه أن أبايعه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين ، وماعبد الملك عندنا إلا باطلٌ كابن الزُّبير ، ولا ابن الزبير إلا باطل كعبد الملك ، فانظر فانك ماجئت لابنتي وابنه ، ولكن جئت تخطبني أنا لبيعته . . .

قال الرسول : أيها الشيخ ، دع عنك البيعة وحديثها ، ولكن منْ عسى أن تجد لكريمتك خيراً من هذا الذي ساقه الله اليك ؟ انك لراعٍ وانها لرعية وستُسأل عنها ، وما كان الظن بك أن تسيء رِعْيتها وتبخس حقّها ، وأن تعْضلَها وقد خطبها فارس بني مروان ، وان لم يكن فارسهم فهو وليّ عهد المسلمين ، وان لم يكن هذا ولا ذاك فهو الوليد بن أمير المؤمنين ؛ وأدنى الثلاث أرفع الشرف فكيف بهنّ جميعاً ، وهنّ جميعاً في الوليد . ؟

قال الشيخ : أمّا إني مسؤول عن ابنتي ، فما رغبت عن صاحبك الا لأني مسؤول عن ابنتي . وقد علمت أنت أن الله يسألني عنها في يوم لعل أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين وألفافهما لا يكونون فيه الا وراء عبيدِها وأوباشها ودُعّارها وفجّارها . يخرجون من حساب الفَجَرَةِ الى حساب القَتَلَة ، ومن حساب هؤلاء الى الحساب على السرقة والغصْب ، الى حساب أهل البغي ، الى حساب التفريط في حقوق المسلمين . ويخفّ يومئذ عبيدُها وأوباشها ودعّارها وفجّارُها في زحام الحشر ، ويمشي أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين ومن اتصل بهما ، وعليهم أمثالُ الجبال من أثقال الذنوب وحقوق العباد .

فهذا ما نظرتُ في حسن الرعاية لابنتي ، لو لم أضِنّ بها على أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين لأوْبَقْتُ نفسي . لا والله مابيني وبينكم عمل ، وقد فرغْتُ مما على الأرض فلا يمرّ السيف مني في لحمٍ حيّ .

* * *

ولما كان غداةُ غدٍ جلس الشيخ في حلْقته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للحديث والتأويل ، فسأل رجلٌ من عرض المجلس ، فقال : يا أبا محمد ، إن رجلاً يلاحيني في صَداق ابنته ويكلّفني مالا أطيق . فما أكثرُ ما بلغ إليه صداقُ أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصداقُ بناته ؟

قال الشيخ : رَوَيْنا أن عمر رضى الله عنه كان ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول : « ماتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا زوّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم(١) . » ولو كانت المغالاة بمهور النساء مَكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورَوَيْنا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير النساء أحسنُهنّ وجوهاً وأرخصُهنّ مهوراً . »

فصاح السائل : يرحمك الله يا أبا محمد ، كيف يأتي أن تكون المرأة الحسناء رخيصة المهر ، وحسنها هو يغليها على الناس تَكثُر رغبتُهم فيها فيتنافسون عليها ؟

قال الشيخ : أنظر كيف قلت . أهم يساومون في بهيمة لا تَعقل ، وليس لها من أمرها شيء إلا أنها بضاعة من مطامع صاحبها ، يُغْليها على مطامع الناس ؟ إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ خير النساء من كانت على جمال وجهها ، في أخلاقٍ كجمال وجهها ؛ وكان عقلها جمالاً ثالثاً ؛ فهذه إن أصابت الرجل الكفء ، يَسَّرَتْ عليه ثم يسّرت ؛ إذ تعتبر نفسها إنساناً يريد إنساناً ، لا متاعاً يطلب شارياً ، فهذه لا يكون رخص القيمة في مهرها ، إلا دليلاً على ارتفاع القيمة في عقلها ودينها ؛ أما الحمقاء فجمالها يأبى إلا مضاعفة الثمن لحسنها ، أي

(١) الدرهم خمسة قروش

لحقها؛ وهى بهذا المعنى من شرار النساء، وليست من خيارهن .

ولقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان الأثاث : رحى يد ، وجَرَّة ماء ، ووسادةً من أدم حشوها ليف . وأولم على بعض نسائه بِمُدَّين من شعير ، وعلى أخرى بمدَّين من تمر ومدَّين من سويق .

وما كان به صلى الله عليه وسلم الفقر ، ولكنه يَشْرَعُ بُسُنَّتِه ليُعلِّم الناس من عمله أن المرأة للرجل نفسٌ لنفسٍ ، لا متاعٌ لشاريه ، والمتاع يُقوَّم بما بُذِلَ فيه إنْ غالياً وإن رخيصاً ، ولكن الرجل يُقوَّم عند المرأة بما يكون منه ؛ فمهرها الصحيح ليس هذا الذى تأخذه قبل أن تُحمل إلى داره ، ولكنه الذى تجده منه بعد أن تُحمَلَ إلى داره ؛ مهرُها معاملتها ، تأخذ منه يوماً فيوماً ، فلا تزال بذلك عروساً على نفس رُجلِها ما دامت فى معاشرته . أما ذلك الصداق من الذهب والفضة فهو صداق العروس الداخلة على الجسم لا على النَّفْس ؛ أفلا تراه كالجسم يهلك ويبْلى ، أفلا ترى هذه الغالية — إن لم تجد النفس — قد تكون عروس اليوم ومطلَّقةَ الغد ؟ !

وما الصداق فى قليله وكثيره إلا كالايماء إلى الرجولة وقدرتها ، فهو إيماء ، ولكنَّ الرجل قبلُ ، ولكن الرجل قبْل . إن كل امرئ يستطيع أن يحمل سيفاً ، والسيف إيماء إلى القوة ، غير أنه ليس كل ذوى السيوف سواءً ، وقد يحمل الجبان فى كل يدٍ سيفاً ، ويملك فى داره مائة سيف ؛ فهو إيماء ، ولكن البطلَ قبْلُ ، ولكن البطل قبْلُ .

مائة سيف يمهَر الجبانُ بها قوَّته الخائبة ، لا تغنى قوَّته شيئاً ، ولكنها كالتدليس على من كان جباناً مثله . ويوشك أن يكون المهر الغالى كالتدليس على الناس وعلى المرأة ، كى لاتعلم ولا يعلم الناس أنه ثمن خيبتها ؛ فلو عقلت المرأة لباهتْ النساء بيسر مهرها ، فانها بذلك تكون قد تركت عقلها يعمل عمله ، وكَفَّت حماقتها أن تُفسد عليه .

فصاح رجلٌ فى المجلس : أيها الشيخ ، أفى هذا من دليل أو أثر ؟

قال الشيخ : نعم ؛ أمَّا من كتاب الله فقد قال الله تعالى : « خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » . فهى زَوْجُه حين تجده هو ، لاحين تجدُ ماله ؛ وهى زوجه حين تُتمِّمُه لاحين تنقصه ؛ وحين تلائمه لاحين تختلف عليه : فمصلحة المرأة زوجةً ما يجعلها من زوجها ، فيكونان معاً كالنَّفْس الواحدة ، على ما ترى للعضو من جسمه ، يريد من جسمه الحياة لا غيرها .

وأما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روينا : « إذا أتاكم منْ ترْضوْن دينه وأمانته فزوجوه . إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ فى الأرض وفساد كبير . »

فقداشترط الدينَ ، على أن يكون مرْضياً لا أيَّ ذلك كان ؛ ثم اشترط الأمانة ، وهى مظهر الدين كله بجميع حسناته ؛ وأيسرها أن يكون الرجل للمرأة أميناً وعلى حقوقها أميناً ، وفى معاملتها أميناً ، فلا يبخسها ، ولا يعنتُها ، ولايسئ إليها ؛ لأن كل ذلك ثلْمٌ فى أمانته . فان ردَّتْ المرأة منْ هذه حاله وصفتُه من أجل المهر — تقدَّم إليها بالمهر من ليست هذه حاله وصفته ، فوقعت الفتنة ، وفسدت المرأة بالرجل ، وفسد هُوَ بها ، وفسد النسلُ بهما جميعاً ، وأُهْمِلَ من لا يملك ، وتعنَّستْ من لا تجد ، ورجع المهر الذى هو سبب الزواج سبباً فى منعه ، ويتقارب النساء والرجال على رغم المهر والدين والأمانة ؛ فيقع معنى الزواج ويبقى المعطَّلُ منه هو اللفظ والشرع .

هل علمتْ المرأة أنها لا تدخل بيت رجلها إلا لتجاهد فيه جهادها ، وتبلوَ فيه بلاءها ؛ وهل يقوم مال الدنيا بحقِّها فيما تعمل وماتجاهد ، وهى أم الحياة ومُنْشِئَتُها وحافظتها . فأين يكون موضعُ المالومكانُ التفرقة فى كثيره وقليله ، والمال كلُّه دون حقِّها ؟ .

ولن يتفاوت الناس بالمال تختلف درجاتهم به وتكون مراتبهم على مقداره ، تكثر به مرة وتقل مرة — إلا اذا فسد الزمان ، وبطلت قضية العقل ، وتعطَّل موجب الشرع ، وأصبحت السجايا تتحوَّل ، يملكها من يملك المال ، ويخسرها من يخسره ؛ فيكون الدِّين على النفوس كالدخيل المزاحم لموضعه ، والمتدلِّى فى غير حقه ؛ وبهذا يرجع باطل الغنِيِّ ديناً يتعامل الناس عليه ، ودينُ الفقير بَهْرَجًا لا يروج عند أحد . وليس هذا من ديننا

دينِ النفس والخُلق ، وإن ألف بعير يقتنوها الرجل خالصةً عليه ثابتةً له لاتزيد فى منزلة دينه قدْر نملة ولا مادونها . والحجران : الذهب والفضة — قد يكون شعاعهما فى هذه الدنيا أضوأ من شمسها وقمرها ، ولكنهما فى نور النفس المؤمنة كحصاتين يأخذهما الرجل من تحت قدميه ، ويذهب يزعم لك أنهما فى قدر الشمس والقمر .

وهلاك الناس إنما يُقضى بمحاولتهم أن يكونوا أناساً بعيوبهم وذنوبهم ؛ فهذا هو الانسان المدبرُ عن الله وعن نفسه وعن جنسه ؛ لايكون أبوه أباً فى عطفه ، ولا أمه أمّاً فى محبتها ، ولا ابنه ابناً فى برِه ، ولا زوجته زوجةً فى وفائها ؛ وإنما يكونون له مهالك كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتى على الناس زمانٌ يكون هلاكُ الرجل على يد زوجته وأبويه وولده ؛ يعيّرونه بالفقر ، ويكلّفونه ما لا يطيق ؛ فيدخلُ المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك . »

* * *

وصاح المؤذن ، فقطع الشيخ مجلسه وقام الى الصلاة ، ثم خرج الى داره فتلقته ابنته وعلى وجهها مثل نُوره ، قالت يا أبت ، كنت أتلو الساعة قوله تعالى : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنة» . فما حسنةُ الدنيا ؟ قال : يابُنيّة هى التى تصلح أن تُذكَر مع حسنة الآخرة ، وما أراها للرجل إلا الزوجةَ الصالحة ، ولا للمرأة . . . .

وطُرق الباب فذهب الشيخ يفتح ، فاذا الطارقُ (أبو وداعة) وكان يجالسه ويأخذ عنه ويلزم حلقته ، ولكنه فقده أياما . فدخل فجلس . قال الشيخ : « أين كنت ؟ »

قال : « تُوفّيتْ أهلى فاشتغلتُ بها . »

قال الشيخ : « هلاّ أخبرتنا فشهدناها ؟ » ثم أخذ يُفيض فى الكلام عن الدنيا والآخرة . وشعر أبو وداعة أن القبر مازال فى قلبه حتى فى مجلس الشيخ ، فأراد أن يقوم ؛ فقال (سعيد) :

« هل استحدثت امرأةً غيرها ؟ »

قال : « يرحمك الله ، أين نحن من الدنيا اليوم ، ومَن يزوّجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ »

قال الشيخ : « أنا . . . . »

أنا ، أنا ، أنا . . . دوّى الجوُّ بهذه الكلمة فى أذن طالب العلم الفقير ، فحسب كأن الملائكة تنشد نشيداً فى تسبيح الله يطِنُّ لحنه : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

وخرجت الكلمة من فم الشيخ ، ومن السماء لهذا المسكين فى وقت واحد ، وكأنها كلمة زوّجته إحدى الحور العين .

فلما أفاق من غَشْيَة أذنه . . قال : « وتفعل ؟ »

قال (سعيد) : « نعم » وفسر (نعم) بأحسن تفسيرها وأبلغه ، فحمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وزوّجه على ثلاثة دراهم (خمسة عشر قرشاً) . ثلاثة دراهم مهر الزوجة التى أرسل يخطبها الخليفة العظيم لولى عهده بثقلها ذهباً لو شاء .

وغشى الفرحُ هذه المرة عينى الرجل وأذنيه ، فاذا هو يسمع نشيد الملائكة يطن لحنه : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

ولم يشعر أنه على الأرض ، فقام يطير ، وليس يدرى من فرحه ما يصنع ، وكأنه فى يوم جاءه من غير هذه الدنيا يتعرّف اليه بهذا الصوت الذى لايزال يطنّ فى أذنيه : « أنا ، أنا ، أنا

وصار الى منزله وجعل يفكر ممن يأخذ ، ممن يستدين ؛ فظهرت له الأرض خلاء من الانسان ، وليس فيها إلا الرجل الواحد الذى يضطرب صوته فى أذنيه : « أنا ، أنا ، أنا . . .

وصلى المغربَ وكان صائماً ، ثم قام فأسرج ، فاذا سراجه الخافت الضئيل يسطع لعينيه سطوع القمر ، وكأن فى نوره وجه عروسٍ تقول له : « أنا ، أنا ، أنا . . . . »

وقدّم عشاءه ليفطر ، وكان خبزاً وزيتا ، فاذا الباب يقرع !

قال : من هذا ؟ قال الطارق : سعيد ! . .

سعيد ؟ سعيد ؟ من سعيد ؟ أهو أبو عثمان ؟ أبو على ؟ أبو الحسن . فكّر الرجل فى كل من اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيّب ؛ إلا الذى قال له : « أنا . . . . »

لم يخالجه أن يكون هو الطارق ، فان هذا الامام لم يطرق باب أحدٍ قط ، ولم يُرَ منذ أربعين سنة إلا بين داره والمسجد .

ثم خرج إليه ، فاذا به سعيد بن المسيّب ، فلم تأخذه عينه حتى رجع القبر فهبط فجأة بظلامه وأمواته فى قلب المسكين وظن أن الشيخ قد بدا له ، فندم ، فجاءه للطلاق قبل أن ينتشر الخبر ، ويتعذّر إصلاح الغلطة ! فقال : « يا أبا محمد ، لو . . لو . .

لو – لو أرسلت إلىَّ لأتيتُك ! »

قال الشيخ : « لأنت أحقّ أن تُؤْتَى »

فما صكّت الكلمة سمع المسكين حتى أُبلِس الوجودُ فى نظره ، وغشِىَ الدنيا صمتٌ كصمت الموت ، وأحسّ كأن القبر يتمدّد فى قلبه بعروق الأرض كلِّها ! ثم فاء لنفسه وقدّر أن ليس محلُّ شيخه إلا أن يأمر ، وليس محلُّه هو إلا أن يطيع ، وأنّ من الرجولة ألاّ يكون معرّةً على الرجولة ، ثم نكّس وتنكّس ، وقال بذلّة ومسكنةٍ : « ما تأمرنى ؟ »

تفتحت السماء مرة ثالثة ، وقال الشيخ : « إنك كنت رجلاً عزَباً ، فتزوّجت ، فكرهْتُ أن تبيت الليلةَ وحدك ؛ وهذه امرأتُك ! »

وانحرف شيئاً ؛ فاذا العروس قائمة خلفه مستترةٌ به ، ودفعها إلى الباب وسلّم وانصرف .

وانبعث الوجود فجأةً ، وطنّ لحْنُ الملائكة فى أذن أبى وداعة : « أنا ، أنا ، أنا ... »

***

دخلتْ العروس الباب وسقطت من الحياء ، فتركها الرجل مكانها ، واستوثق من بابه ، ثم خطا إلى القصعة التى فيها الخبز والزيت ، فوضعها فى ظل السّراج كى لا تراها ؛ وأغمض السراج عينَه ونشر الظلّ ...

ثم صعد إلى السطح ورمى الجيران بحُصَيّاتٍ ؛ ليعلموا أن له شأناً اعتراه ، وأن قد وجب حقّ الجار على الجار « وكانت هذه الحصيات يومئذ كأجراس التليفون اليوم) فجاءوه على سطوحهم وقالوا : ما شأنك ؟ .

قال : « وَيْحكم ! زوّجنى سعيد بن المسيّب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة . »

قالوا : وسعيد زوّجكَ ! أهو سعيد الذى زوّجك ! أزوّجك سعيد ؟ . »

قال : « نعم »

قالوا : « وهى فى الدار ! أتقول إنها فى الدار ؟ . »

قال : « نعم »

فانثال النساء عليه من هنا وههنا حتى امتلأت بهن الدار .

وغشيت الرجل غشيةٌ أخرى فحسب داره تتيه على قصر عبدالملك ابن مروان ، وكأنما يسمعها تقول : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

***

قال أبو وداعة : « ثم دخلتُ بها ، فاذا هى من أجمل الناس وأحفظهِمْ لكتاب الله تعالى ، وأعلمِهم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفِهم بحقّ الزوج . »

قال : « ومكثت شهراً لا يأتينى سعيد ولا آتيه ، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو فى حلقته فسلّمْتُ ، فردّ علىّ السلام ، ولم يكلمني حتى تفرّق الناس من المجلس وخلا وجهه ، فنظر الىّ وقال :

« ما حالُ ذلك الأنسان ... ... ؟ . »

***

أما ذلك (الأنسان) فلم يعرف من الفرق بين قصر ولىّ العهد ابن امير المؤمنين وبين حجرة أبى وداعة التى تُسمَّى داراً ... ! إلا أن هناك مضاعفةَ الهمّ ، وهنا مضاعفة الحُبّ .

وما بين (هناك) إلى القبر مدةَ الحياة ستَخْفتُ الروح من نورٍ نورٍ ، الى أن تنطفىء فى السماء من فضائلها .

وما بين (هنا) الى القبر مدةَ الحياة – تسطع الروح بنور على نور ، الى أن تشتعل فى السماء بفضائلها .

وما عند أمير المؤمنين لا يبقى ، وما عند الله خير وأبقى .

***

ولم يزل عبد الملك يحتال (لسعيد) ويَرصُدُ غوائلَه حتى وقعت به المحنةُ ، فضربه عامله على المدينة خمسين سوطاً فى يوم بارد ، وصبّ عليه جرّة ماء ، وعرَضه على السيف ، وطاف به الأسواق عارياً فى تُبّان[1] من الشَّعر ، ومنع الناس أن يجالسوه أو يخاطبوه .

وبهذه الوقاحة ، وبهذه الرذيلة ، وبهذه المَخْزاة قال عبد الملك بن مروان : « أنا ... ... ؟ »

طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) التبان : ما يسمى اليوم (المايو) أو لباس البحر . ذكره الجاحظ وقال : هو سراويل قصير يلبسه الملاحون .

الترجمة فى الأدب العربى
وتراجم عظمائنا المحدثين

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فى العام الماضى فكر جماعة من الأساتذة والكتاب فى اصدار مجموعة من التراجم القوية المحققة لعظماء مصر فى العصر الحديث . وكانت الغاية من اصدار مثل هذه المجموعة علمية قومية قبل كل شىء ؛ فليس فى تراثنا التاريخى المعاصر مثل هذه السلسلة ؛ ومازالت سير الكثيرين من عظائنا مجهولة مغمورة ، ومازال شبابنا المتعلم يتوق الى استعراض هذه السير فى بحوث محققة ممتعة تغرى بالقراءة والدرس فلا يجدها . وسير العظماء زينة التاريخ القومى ، والتاريخ القومى غذاء للشعور الوطنى . ولكن هذا المشروع العلمى الجليل لم يجز مع الأسف طور التفكير ، وطوى كما طويت مشاريع مثله من قبل .

إن تراجم العظماء تشغل فى آداب الأمم العظيمة وفى تاريخها أسمى مكانة ، فأقطاب الأمراء والساسة والقادة والعلماء والشعراء والأدباء والفنانين ، هؤلاء جميعاً يأخذون مكانهم فى التاريخ القومى العام ، ثم يأخذون مكانهم فى تراجم خاصة ، تذهب أحياناً الى البحوث النقدية المستفيضة التى تشغل مجلدات بأسرها وتخصص للمراجعة العلمية والدراسة العليا ؛ وتقتصر أحياناً على صور موجزة ، ولكن قوية ممتعة تخصص لدرس الشباب وللقراءة العامة . ويخص هؤلاء العظماء بالدرس فى كل عصر ووقت ، ويحظون بمختلف البحوث والدراسات ، وقد تصدر عن أحدهم عشرات التراجم والسير ، ولكل مقامها العلمى والأدبى . أما نحن فكما أن النقص يعتور تاريخنا القومى ، وكما أن هذا التاريخ لم يكتب بعد بما يجب من تحقيق وإفاضة ، فكذلك يعتور النقص لدينا هذه الناحية الخاصة ، أعنى ناحية التراجم والسير المفردة ؛ وقلما حظيت آدابنا التاريخيـــة بترجمة محققة وافية لعظيم من عظائنا المحدثين .

على أن هذه الناحية الخاصة من المباحث التاريخية تشغل فى الأدب العربى القديم مكانة هامة . وقد بدأت العناية بها فى عصر مبكر جداً . فمنذ القرن الثانى للهجرة يعنى الرواة والمؤرخون المسلمون بالسير والتراجم المفردة . وقد لبثت تراجم العظماء الخاصة حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى تملأ فراغاً كبيراً فى الآداب التاريخية العربية ؛ ولم تقف الترجمة الخاصة عند نوع معين أو طائفة معينة من العظماء ، بل تناولت رجال السيف والقلم ، والملوك والوزراء ، والقادة والمفكرين ، والكتاب والشعراء من كل ضرب ؛ ومنها الموسوعات العامة ، ومنها المجموعات الخاصة لطوائف معينة ، ومنها التراجم والسير الفياضة ، ومنها الموجزة . وفى الآداب العربية من هذه وتلك تراث شامخ قد لاتحظى به أية آداب أخرى ، اذا استثنينا العصر الحديث الذى ركدت فيه الآداب العربية ، ونهضت فيه الآداب الأخرى . غير أن هذا التراث الحافل يقف مع الأسف عند بدء تاريخنا الحديث ، وينقطع سيره انقطاعاً تاما ، فلا نكاد نظفر فى ذلك العصر بآثار قيمة فى التراجم العامة أو الخاصة ؛ وهذه ثغرة فى آدابنا التاريخية لم نوفق الى تداركها حتى اليوم .

ويجدربنا أن نستعرض بهذه المناسبة طرفاً من تراث التراجم والسير الخاصة فى الأدب العربى ، لنذكر شبابنا المتعلم بما خص به هذا الفن فى أدبنا من العناية والاهتمام ، وما انتهى اليه من النضج والتقدم . وما نذكره هنا هو على سبيل التمثيل فقط ، إذ يقتضى الالمام بجميع آثار هذا الفن فصولا بأسرها . وفى مقدمة هذه الآثار السيرة النبوية الكريمة ، وأشهرها وأنفسها سيرة ابن اسحاق التى دونت فى منتصف القرن الثانى من الهجرة . وكتب ابن النديم كتاب الفهرست الشهير فى أواخر القرن الرابع ، وألم فيه بطائفة كبيرة من تراجم الفلاسفة والمفكرين والكتاب وآثارهم حتى عصره ؛ ومنذ القرن الخامس يعظم ميدان هذا الفن ويتسع ، وتوضع فيه الموسوعات الكبيرة ؛ فنجد الخطيب البغدادى المتوفى فى أواخر هذا القرن يستعرض فى كتابه الضخم « تاريخ بغداد » مئات من تراجم العظماء والخاصة فى جميع الدول الاسلامية ؛ وفى القرن السابع وضع القاضى الأجل شمس الدين بن خلكان موسوعته العامة « وفيات الأعيان » فى تراجم العظماء من كل ضرب . ولا ريب أن معجم ابن خلكان

من أنفس آثار الترجمة العربية إن لم يكن أنفسها جميعاً . فهو موسوعة شاسعة تحتوى على أكثر من ثمانمائة ترجمة لأعلام الأمم الاسلامية ، ومنها تراجم ضافية تملأ صفحات كبيرة ، ومنها تراجم موجزة ، ولكنها تمتاز جميعاً بالتحقيق ودقة التصوير ؛ وقد عنى ابن خلكان عناية خاصة بتحقيق الأسماء والتواريخ ، ونستطيع أن نقول إنه أول مؤرخ عربى جعل من الترجمة فناً حقيقياً ، وما زال معجمه إلى عصرنا من أهم المراجع التاريخية وأنفسها .

وبلغ فن الترجمة ذروة ازدهاره فى القرنين الثامن والتاسع ؛ وظهرت فيه الموسوعات الغنية الشاسعة ، وخص كل عصر وكل قرن بأعيانه وأعلامه ، ونستطيع أن نذكر من آثار هذا العصر ، كتاب « أعيان العصر وأعوان النصر » لصلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، وهو موسوعة كبيرة فى تراجم الأعلام المعاصرين لم يصلنا منها سوى بضع مجلدات . وللصفدى أيضاً كتاب « الوافى بالوفيات » ، وهو موسوعة عامة فى تراجم أعلام الأمم الاسلامية من سائر الطبقات والطوائف منذ الصحابة إلى عصره ، ولم يصلنا منها أيضاً سوى بضعة مجلدات ؛ وقد ذيل عليها مؤرخ مصر أبو المحاسن بن تغرى بردى بكتاب عنوانه « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ضمنه تراجم الأعلام منذ منتصف القرن السابع إلى عصره أى إلى منتصف القرن التاسع . ولدينا منذ القرن الثامن سلسلة متصلة من معاجم الترجمة ، يختص كل معجم منها بقرنه ، وأولها كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » للحافظ بن حجر العسقلانى ؛ ثم كتاب « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » لشمس الدين السخاوى ، وهو من أنفس معاجم الترجمة وأقواها من الوجهة النقدية ؛ ثم كتاب « الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة » لنجم الدين الغزى العامرى ، ثم « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » للمحبى الحموى ؛ ثم « سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر » لأبى الفضل المرادى . وقد ترجم لنا عبد الرحمن الجبرتى مؤرخ مصر فى عهد الفتح الفرنسى طائفة كبيرة من أعيان مصر فى القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وهو يصل بذلك سلسلة التراجم . وترجم لنا المغفور له العلامة على باشا مبارك كثيراً من أعيان مصر فى العصر الأخير فى كتابه « الخطط التوفيقية » ؛ ووضع المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا عدة تراجم لبعض أعيان مصر فى القرن الرابع عشر ، وهى التى نشرتها « الرسالة » تباعاً فى أعدادها الأخيرة .

هذا عن التراجم العامة . وأما عن الترجمة المفردة التى تقتصر على سيرة شخص معين ، والترجمة الخاصة التى تعالج طائفة خاصة من الأعلام ، فلدينا منها الكثير أيضاً ، ونستطيع أن نمثل للترجمة المفردة بسيرة عمر بن عبد العزيز لمحمد بن عبد الحكم المتوفى فى أوائل القرن الثالث ؛ وسيرة المعز لدين الله لابن زولاق المصرى المتوفى فى أواخر القرن الرابع ، وقد ضاعت ولم يصلنا منها سوى شذور قليلة ؛ وسيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى من علماء القرن السادس ، وتاريخ تيمورلنك المسمى « بعجائب المقدور » لابن عربشاه الدمشقى من علماء القرن الثامن ؛ وترجمة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون بقلمه ؛ وترجمة الحافظ ابن حجر بقلم تلميذه السخاوى ، وترجمة ابن الخطيب للمقرى ، وغيرها . ولدينا الكثير أيضاً من تراجم الطوائف الخاصة كالفلاسفة والأدباء والقضاة والنحاة وغيرهم ، مثل أخبار الحكماء للقفطى ، وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، ويتيمة الدهر للثعالبى ، ومعجم الأدباء لياقوت ، وقضاة مصر لابن حجر ، وكثير غيرها ؛ هذا عدا كتب الطبقات الخاصة بتراجم فقهاء المذاهب المختلفة وهى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها . (١)

والخلاصة أن الأدب العربى غنى بتراثه فى فن الترجمة ، وقلما تنافسه فى ذلك آداب أخرى ، إذا استثنينا العصر الحديث . ولكن هذا التراث الحافل يقف مع الأسف عند بدء تاريخنا الحديث ؛ ولو لم يوهب لمصر مؤرخها البارع عبد الرحمن الجبرتى فى القرن الثانى عشر (القرن الثامن عشر الميلادى) ويتحفنا بموسوعته النفيسة « عجائب التراجم والآثار » لضاعت إلى الأبد حقائق ومعالم كثيرة عن تاريخ مصر فى هذا العصر ، ولطمست سير الكثيرين من أعلامه . نعم إن الترجمة العربية لم تعرف الأسلوب النقدى ، ومنهج التحقيق العلمى ، لأنها ازدهرت فى

---

(١) يستطيع من يريد التوسع فى معرفة كتب التراجم والسير أن يرجع إلى كتاب « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » للسخاوى ، وكتاب « كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون » لحاجى خليفة .

عصر كان التاريخ فيه أقرب إلى الرواية ؛ ولكنها مع ذلك تمتع فضلا عن غزير مادتها بكثير من التحقيق التاريخي ، وفى وسع المؤرخ الحديث أن يستخرج منها نفائس مادته ؛ وقد كان الجبرتى خاتمة هذا الثبت الحافل من مؤرخين عنوا بتدوين الحوادث والتراجم المعاصرة ، ولم يقع لتراثنا مثل هذا الأثر النفيس منذ الجبرتى أى منذ أوائل القرن التاسع عشر . وقد تقدمت المباحث التاريخية فى العصر الأخير تقدماً واضحاً ، وبدىء بكتابة تاريخ مصر الحديث [1] ؛ ولكنا حتى فى هذه الناحية العامة مازلنا فى مستهل جهودنا ؛ ومما يبعث على أشد الأسف والألم أن نجد عناية الكتاب الغربيين بكتابة تاريخنا الحديث سواء من الوجهة العامة أو من بعض الوجوه الخاصة أوفر من عنايتنا ، وأن نجد فى مختلف اللغات الأوربية من الآثار المتعلقة بتاريخنا أكثر مما نجده فى لغتنا العربية .

أما النواحى الخاصة فى تاريخنا القومى ، وأما سير عظمائنا ، وهى التى أوحت الينا بكتابة هذا الفصل ، فما زالت مغمورة منسية . وأى نسيان ، بل وأى نكران أشد من أن يبقى ذلك الثبت الحافل من عظمائنا ومفكرينا فى العصر الحديث دون ذكر محقق منظم ؟ أليس مما يشين نهضتنا العلمية والأدبية أن يحرم رجال مثل عرابى والبارودى وعلى مبارك ومحمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهم من أبطال نهضتنا القومية من تراجم ضافية ، نقدية محققة يقرأها الشباب والخلف ؟ إن العظماء فى الأمم المتمدينة يذكرون دائماً أثناء حياتهم بما يخلد ذكرهم بين مواطنيهم ؛ فاذا توفى أحدهم صدرت عنه غداة وفاته الفصول والكتب المحققة ، هذا عدا ما يكون قد صدر منها أثناء حياته . أما نحن فننظر الى التاريخ المعاصر نظرة الجمود والاستخفاف ، ونكتفى يوم يذهب أحد عظمائنا بأن نشيعه الى قبره ببعض المقالات والمراثى ، ثم لا يلبث أن يغمره النسيان الى جانب أسلافه ! وهكذا يتكدس أمامنا ثبت عظمائنا فلا نتلقى من سيرهم وأعمالهم الا صوراً مشوهة ، بينما نعرف الكثير عن عظماء الأمم الأخرى ، لأننا نجد فى سيرهم كتباً محققة ممتعة تشوق قراءتها .

ولاريب أن معظم التبعة فى ذلك الاهمال المشين ترجع الى نوع الثقافة التاريخية الذى نتلقاه فى مدارسنا ؛ فهذه الثقافة مازال قاصرة ، بعيدة عن أن تخص التاريخ القومى بما يجب من عناية ، بعيدة عن أن تذكى الشعور الوطنى فى نفوس النشء . والشعور بالكرامة القوية هو أول دافع للشباب والباحثين على استقصاء سير عظماء الوطن ثم على تحقيقها وتدوينها .

هذه كلمة أخرى نرسلها على صفحات « الرسالة » لننبه على احدى مواطن الضعف فى ثقافتنا وآدابنا التاريخية ؛ ولنذكر بها إخواننا الذين فكروا منذ عام فى وضع تراجم وافية محققة لعظماء مصر فى العصر الحديث أن يعاودوا البحث فى هذا المشروع العلمى الوطنى الجليل ، ولعلهم موفقون هذه المرة الى تحقيقه وإخراجه ؛ فيسدون بذلك ثغرة مشينة فى تاريخنا القومى ويضعون سنة حسنة فى آدابنا التاريخية ، ويستحقون بذلك عرفان الجيل الحاضر والأجيال القادمة .

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) يسرنى أن أنوه بهذه المناسبة بمجهود صديقى المؤرخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك وكتابه الجامع القيم « الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » وهو خير ما أخرج بالعربية فى تاريخ مصر الحديث .

بين فن التاريخ وفن الحرب

٣ - خالد بن الوليد *

فى حروب الردة

للفريق طـه باشا الهاشمى

رئيس أركان حرب الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

٥ - أسلوب القتال :

من الخطأ القول بأن ليس للعرب أسلوب فى القتال قبل الاسلام : فان من تتبع أخبارهم فى الجاهلية اتضح له أن للقوم مبادىء يسيرون عليها فى قتالهم ، وكانت هـذه المبادىء ملائمة لاستعمال سلاحهم ومنطبقة على البيئة التى يقاتلون فيها .

أجل ، إن العرب لم تقاتل بالجموع التى كان يقاتل بها الفرس أو الروم الذين كانت جيوشهم كبيرة قد تربو على المائة ألف فى بعض المعارك . وجيش بهذه القوة يحتاج الى تنظيم لسوقه قبل المعركة وتعبئته فيها . فجيش أولئك الأعاجم كان ينقسم الى راجلين وفرسان والى طاعنين وضاربين ورماة . وكانت الفيلة عند الفرس والعجلات الحربية عند الروم ، تقوم مقام الأسلحة الثقيلة كالدبابات والمدافع الضخمة فى يومنا هذا .

فنظام القتال عند اليونان كان مستنداً الى « الفيلق » (الفلانكس) وهو وحدة تعبيوية يبلغ متوسط قوتها (٤٠٠٠) مقاتل ، يصطف الجنود فيها على ستة عشر صفاً طول كل صف (٢٥٦) مقاتلا . والجنود فى « الفيلق » (الفلانكس) من المشاة مسلحون بالرمح والسيف والحربة والمغفر والدرع والترس . ويتكون من « الفيلق » القلب ويقف فى الخط الثانى الذى يسبقه الخط الأول المؤلف من الرماة ويليه الخط الثالث . وتقف الخيالة فى اليمنة والميسرة لحماية الجانب .

(*) وهو بحث فنى قيم لا يستطيع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

ويتألف الجيش عادة من أربعة « فيالق » (فلانكسات) متى تيسرت القوة فيه . فتقف « الفيالق » جنباً إلى جنب وبينها فاصلات صغيرة تتراوح بين عشرين وأربعين خطوة .

وكان هذا النظام لا يصلح للقتال إلا فى الأرض السهلة المنبسطة ، والمقدرة على الحركة فيه قليلة ، ولا يستطيع تغيير الجبهة متى اقتضى الموقف ذلك ، فضلاً عن أنه معرض للخسارة إذا أصيب برمى السهام .

أما نظام القتال عند الرومان فكان مستنداً الى (اللجيون) ، وهذا ينقسم الى الكراديس ومجموعها عادة عشرة . وكانت الكراديس سابقاً تُعبأ على خطين كل خمسة منها فى نسق وبينها فاصلة جهة كردوس ، على أن تقف كراديس الخط الثانى وراء فاصلات الخط الأول .

ثم تطور هذا النظام فى عهد يوليوس قيصر ، فكان اللجيون يقف على ثلاثة خطوط : فى الخط الأول أربعة كراديس ، وفى كل من الخطين الباقيين ثلاثة ، وتبلغ قوة كل كردوس ألف مقاتل .

وتؤلف الكراديس القلب ، ويقف أمامه الرماة الذين يرمون العدو بسهامهم أو بحرابهم قبل الاصطدام ثم ينسحبون الى المجنبات . أما الخيالة فتحمى المجنبتين .

وكان نظام الكراديس يفوق نظام « الفيلق » « الفلانكس » فى المقدرة على القتال والحركة والسير بسهولة ، وكان فى استطاعة الكراديس أن ينجد بعضها بعضاً .

والجانب فى اللجيون قوى بخلاف جانب « الفيلق » (الفلانكس) ، لأن كراديس الجانب متى غيرت ناصيتها استطاعت أن تقابل العدو الملتف حولها .

وسار الروم أو البيزنطيون فى قتالهم على نظام الكراديس . فأخبار الفتوح الأولى تدل على أنهم كانوا يعبئون قواتهم كراديس ويحمون مجنبتهم بالميمنة والميسرة . وكانت قوة الجيش تختلف باختلاف عدد اللجيونات وتقف على خط واحد ، فاما أن تؤلف القلب فتؤلف الخيالة وحدها الميمنة ، واما أن تؤلف القلب والميسرة والميمنة وتكون الخيالة على الجانبين .

وإذا كان عـدد اللجيونات كثيراً يحتوى القلب عادة على أكثرها . وقد زادت قوة الخيالة على ما كانت عليه فى زمن

الرومان ، ذلك لأن الأقوام المتوحشة التي هاجرت من آسيا ودخلت أوربا باغتت رومية بجيوشها الخيالة الكبيرة . ولما توطنت هذه الأقوام فى أوربا ، واندمجت فى المقاطعات الرومانية وجهزت الجنود لجيوش رومية زاد عدد الخيالة فيها وأصبح للفارس شأن خطير فى القتال .

ولا يختلف نظام القتال عند الفرس عن نظام القتال عند الروم إلا اختلافاً يسيراً . والجيش الفارسى على ما يظهر كان منقسما إلى كتائب — والكتيبة تقابل الكردوس وتبلغ قوتها ألف مقاتل — وكان خط القتال فيه ينقسم الى القلب والميمنة والميسرة ، وكانت كتائب الخيالة تحمى الجانبين على ما هو شائع . وكانت الفيلة تتقدم فى جبهة القتال وعلى ظهورها الجنود المسلحون بالحراب والقسى . والذى يلفت النظر أنه كان للرماة شأن خطير فى الجيش الفارسى . ولعل المشاة كانوا جميعاً مجهزين بالقسى وجدَّ ماهرين فى الرماية .

ومن الأساليب التى كان الجيش الفارسى يلجأ اليها فى حرج الموقف ربط الرجال بعضهم ببعض بالسلاسل لكى يثبتوا فى محلهم مهما كلفهم الأمر .

فازاء هذه الأنظمة الشائعة بين الدول الكبرى المجاورة لبلاد العرب ، كان طبيعيا أن يسير الحرب على أسلوب معين فى قتالهم . ولم يغزو العرب فى عُقر دارهم فى السنوات التى سبقت الفتوح . فالرواة يروون هجوم الحبشة على بلاد اليمن ، وتوغلهم فيها بعد انتصارهم على الجيش اليمانى ، ويشيرون الى التجاء تبابعة اليمن الى أكاسرة فارس وطلب النجدة منهم . فخاض الجيش الفارسى عباب البحر على أسطوله ، وأرست سفنه على شواطىء اليمن ، وحارب الأحباش وانتصر عليهم وطردهم من اليمن .

والقصاصون ينقلون أخبار المناذرة والغساسنة فى حروبهم ومساعداتهم لكسرى أو لقيصر فى الحروب الطاحنة التى دارت رحاها بين الفرس والروم . وقد ورد فى القرآن الكريم نتف من أخبارها .

أما مؤرخو الرومان فيذكرون انتصار ملك تدمر أذينة على الرومان واعتزاز زوجه الزباء (زينوبيا) بالعاصمة تدمر .

فهذا الاحتكاك المستمر بين العرب والأمم المجاورة لهم والاشتراك فى القتال مع الجيوش الأجنبية منجدين أو مستنجدين ، والغارات المتوالية على أرض السواد فى العراق أو أرض الشام ، كل أولئك حمل العرب على اقتباس بعض الأساليب الحربية الشائعة عند الفرس والروم ، لذلك لا يأخذنا العجب اذا سمعنا أن للمناذرة كتيبتين ، أى كردوسين : الدوسر والشهباء ، وأن بكر بن وائل قاتلت الفرس فى يوم ذى قار على تعبئة

ومن المبادىء الحربية التى كان العرب يتمسكون بها فى قتالهم مبدأ المباغتة ، والمقدرة على الحركة ، والأمنية . فالمباغتة من أخطر المبادىء التى كانوا يتوخون منها الفوز فى جميع خططهم . لذلك تدل أخبار أيامهم ووقائعهم فى الردة على عنايتهم الزائدة بالاستطلاع ، فكانت العيون تسبق حركاتهم ، فاما أن يباغتوا عدوهم بأخذه على غرة ، أو أن يكمنوا له فيفاجئوه .

أما مبدأ المقدرة على الحركة فظاهر من سيرهم على ظهور خيلهم أو جمالهم خفافاً مسافات بعيدة بسرعة فائقة . وأما عنايتهم بمبدأ الأمنية فمعلوم من إيفادهم الأرصاد والعيون ، ووضع الخيالة فى المجنبة فى القتال ، ومراقبة جانب العدو مراقبة مستمرة للهجوم عليه عند سنوح الفرصة .

ومن المحتمل أننا لا نرى فى كتب التاريخ مثالا للحركة السريعة التى قام بها خالد بن الوليد حين أمره عمر بنجدة جيش سورية وهو يحارب فى العراق . فقطع ابن الوليد البادية بجيش يبلغ عدده تسعة آلاف مقاتل على ظهور الخيل والجمال ، وابتدع وسيلة لضمان الماء اللازم لخيله ، وذلك عمل يدل على نبوغ نادر ، وسنشير الى ذلك عند البحث فى فتح العراق .

وفى غزوة أُحُد كانت قوة المسلمين الف رجل ، تخلف منها ثلثمائة رجل . وكانت قوة قريش ثلاثة آلاف رجل ، فنظر الرسول فى كثرة قوة العدو ، فأخلى المدينة وانسحب الى شمالها جاعلا جبل أحد خلفه ، للاستفادة من مناعته ومن وضعه المشرف على ما حوله . ولما لم يكن الجانب الأيسر مسنوداً بقوة ، وضع فيه مفرزة رماة بقوة خمسين رجلا لحمايته . أما جيش قريش فرتب صفوفه للهجوم بعد أن وضع قوة الخيالة على مجنبته ، وكانت تبلغ مائتى رجل ، وقدم الرماة فى الخط الأول .

وكان خالد على رأس خيالة قريش فى الجانب الأول يراقب رماة المسلمين ويشاغلهم ويتحين الفرص للهجوم عليهم ، لكن

بقطع خط الرجعة على المسلمين . وفعلاً استطاع ذلك لما سنحت الفرصة ، فقلب فوز المسلمين الى انكسار مروع . فهذا كله يثبت لنا أن للعرب أسلوباً فى القتال ، وأن مبدأ المباغتة ومبدأ الأمنية كانا من أخطر المبادىء التى ساروا عليها .

وفى يوم ذى قار نرى بوضوح النظامَ الذى سار عليه العرب فى قتالهم الفرس ، وهو يؤيد ما ذهبنا اليه .

ولا يخفى أن معركة ذى قار وقعت بين غزوة بدر وغزوة أحد ، فانتقم فيها العرب من الفرس ، ونالوا ظفراً حاسماً شجعهم على الاستهانة بقوة فارس ، وساعدهم على غزو بلاد السواد غزواً متواصلاً ، حتى آل الأمر الى فتحهم تخوم العراق .

وروى لنا صاحب الأغانى أخبـار ذلك اليوم بالتفصيل . والواضح من ذلك أن العرب عبأوا قوتهم صفوفاً وقسموها إلى كتائب ، وجعلوا الظعن فى الوراء ليحموه بقلبهم ، وكان بمنزلة القاعدة التى يتمون منها الجيوش فى يومنا هذا وتوضع الخطط الحربية لحمايتها .

وأقاموا قوة فى الميمنة من بنى عِجْل ، وقوة فى الميسرة من بنى شيبان . أما القلب فألفته قبائل بنى بكر بن وائل . ومن الأساليب التى ساروا عليها أنهم لم يقدموا الصفوف للقتال دفعة واحدة لكى لا تصيبها سهام الفرس فتفتك بها . وكان الفرس على ما نعلم ماهرين فى الرماية . والحقيقة أن تقديم الصفوف بأجمعها فى وقت واحد يجعلها عرضة للسهام دفعة واحدة ، بينما البدء بالحركة بكتيبة واحدة يجعل الصفوف الأخرى فى مأمن من ضررها . وهـذا من الأساليب التى كانت تراعى فى هجوم الخيالة على المشاة ، إذ تبدأ الحملة بخط منتشر ضعيف من الخيالة وتليها الخطوط المنظمة .

فالعرب على مايظهر جلياً دخلت ميدان القتال بنظام لم يكن أقل شأناً من نظام الفرس . وكان من أمره أن هزموهم شر هزيمة ، وطاردوهم الى أرض السواد بعد أن غنموا أحمالهم وأثقالهم .

ولعل الطريقة التى سار عليها الرسول (ص) فى غزوة بدر تدل على فكرة التعبئة عند العرب . كانت قوة المسلمين تبلغ ثلثمائة مقاتل بينهم خيال أو خيالان فقط ، بينما كانت قوة قريش تربو على الألف وفيها مائة خيال .

وكان القصد من هذه الغزوة مباغتة قافلة قريش عند عودتها من الشام الى مكة . ولما وصلت قوة المسلمين الى مياه بدر علمت من الأسرى أن قريشاً أنجدت القافلة بقوة كبيرة كانت ثلاثة أضعاف قوة المسلمين . وكان لابد من الاصطدام ، لأن انسحاب المسلمين دون القيام بعمل مما يؤثر فى سطوة الاسلام ويشجع المنافقين على الشغب .

لذلك قرر الرسول أن يقاتل قريشاً بقوته الضعيفة على أن يزيد مناعتها بالتدابير التعبيوية الموافقة . فاختار موضعاً يهيمن على معسكر قريش وقسم قوته الى ثلاثة أقسام ، وجعل لكل قسم قائداً ، ورتب الأقسام بعضها بجانب بعض ، وعبأها صفوفاً كالبنيان المرصوص ، وعرض الصفوف بنفسه فقدم المتأخر من الجنود وأخر المتقدم منهم فأصبحت الصفوف متراصة .

ومنع المسلمين من رمى السهام ومن التفاخر ، وطلب منهم أن لا يتقدموا من محلهم ، ولا يرموا إلا بعد أن تدنو قريش منهم على مسافة قريبة . وكان يقصد بذلك أن تصيب السهام قوة قريش الفائقة فلا تتبعثر . وبفضل هـذه الترتيبات انتصر المسلمون على قريش مع قلة عددهم وضآلة سلاحهم . ولاشك فى أن القتال بالكر والفر كان شائعاً عند العرب . ولعلهم كانوا يستعملونه كثيراً فى غزواتهم لأخذ الثار أو لجر مغنم . وكان يقع بين متقاتلين يبلغ عددهم العشرات ولا يجاوز المئآت . ولما كانوا يقاتلون بالجموع فى أيامهم الشهيرة أو فى مقاتلتهم الفرس أو الروم كانوا بلا ريب يعبئون قواتهم صفوفاً .

(يتبع) طه الهاشمى

لبيك ! لبيك ! . . .

للأستاذ كرم ملحم كرم

رأى أديب دمشق فاضل أن يسألنى ماذا أعنى بقولى : « إن للتوراة والأنجيل والقرآن من الرواية أكبر نصيب » ، وعلىّ أن أوضح للأديب الكريم ماذا أعنى وإن يكن فيما أوردت فى مقال « ما هو أدب اليوم ؟ . . . » بيان مسهب جلىّ .

فقد تحدثت فى أدب اليوم عن الرواية ، وقلت إنها ركن الأدب فى كل عصر وكل آن . أما القصد منها فلا يعدو تغذية النفس بالمواعظ ، والحث على الفضيلة ، ومحاربة الفساد ، وقد تخرج روايات كثيرة عن هذا الهدف ، فينصرف قائلها أو واضعها إلى امتلاك سامعيه أو قرائه بحوادث رائعة مدهشة ترمى إلى التفكهة وقضاء الوقت ، والوقوف على غرائب لا وجود لها فى أحيان كثيرة فى غير مخيلات ناسجيها .

والرواية نوعان : منها التاريخية ومنها الخيالية . بل هى محيط واسع تشمل الحقائق والأكاذيب ، تشمل الملموس المحسوس والخيالى المجهول . فمن حق الراوى أن يتفنن فى سرد حكاياته على ما شاء . له أن يستعين بالتاريخ وأن يسخر بالتاريخ . له أن يقدس الحقيقة وأن يعرض عنها .

فهو حرٌّ مطلق فى أن يقول ما شاء . وما يقوله رواية تختلف قيمتها باختلاف قدر قائلها وقوة تركيبها ومن تتناول من الأفراد .

والكتب المقدسة تحمل روايات عديدة . ففى كل فصل من فصولها رواية ، وإننا لنبدأ بالتوراة . ففى سفر التكوين رواية ، وفى تمرد الملائكة وسقوطهم إلى الجحيم رواية ، وفى عصيان آدم وحواء مشيئة الله وأكلهما الثمرة المحرمة رواية ، وفى حكاية ابراهيم وهاجر رواية ، وفى موقف عيسو من أبيه اسحق رواية ، وفى حب يعقوب لابنة خاله رواية ، وفى حكاية يوسف وإخوته رواية ، وكم من حكاية وحكاية فى التوراة . فالكتاب يجمع بين دفتيه حكايات العهد القديم فى معظمها .

ولننتقل إلى الانجيل . فالمسيح نفسه صارح سامعيه بأنه يخاطبهم بالأمثال لكى يفهموا . فحدثهم عن الابن الشاطر ، وعن تجار الوزنات الخمس ، وعن العاملين فى الكَرْم الذين أقبلوا فى أوقات متعددة ونقدهم رب الكرم أجراً واحداً ، وعن العذارى اللواتى يحملن زيتاً فى مصابيحهن . وهناك حكايات لا تحصى ضربها المسيح مثلاً لتلاميذه وسامعيه .

والقرآن ما خلا من هذه الحكايات . خصوصاً الحكايات الواردة فى التوراة . من حكاية سفر التكوين ، إلى حكاية سقوط الملائكة ، إلى حكاية زكريا ، إلى حكاية مريم بنت عمران ، وربك نفسه قال فى سورة يوسف : « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ . إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » . فان قول ربك : « نحن نقص عليك أحسن القصص » دليل ناطق على أن القرآن لا يخلو من الرواية .

ولماذا يخلو من الرواية ؟ . أتكون الرواية نقيصة ؟ . أليس من شأنها تهذيب النفس ورد الخاطئين إلى الله اتعاظاً بما مس ونال الضالين من عقاب وقصاص كما اتفق لعاد وثمود ؟ . .

فلا غضاضة إذاً على الكتب المقدسة ، والقرآن منها ، اذا حوت الروايات ؛ وفى الروايات عظات بليغة . ولا حاجة لقول الأديب الدمشقى عن التوراة والانجيل : « صاحب البيت أدرى بما فيه ! . . » ، فلا مجال فى بحثنا للطوائف والنيل من الأديان . فالحديث حديث أدب ، والطائفية فى واد ونحن فى واد ، وكل قصدنا مما قلنا أن الرواية تتغلغل فى أى مكان ، فى الكتب المقدسة وفى سواها . كل قصدنا أن نقول إن الرواية انبثقت بانبثاق الكون ، وإنها أدب كل يوم . كل قصدنا أن نحث أدباء العرب على الاشتغال بالفن الروائى ، فان آثار هذا الفن تكاد تمحى فى الأدب العربى .

أما أن نكون رمينا الى الحط من منزلة الكتب المقدسة ، فذلك مما لا نفكر فيه ولا يحق لنا أن نفكر فيه ، فنحن نحترم هذه الكتب ، وكيف لا نحترمها والملايين من البشر تدين بتعاليمها ، وتؤمن كل الايمان بآياتها ؟ . .

والكتب المقدسة تطبع العقول على الخير ، وتثقف النفوس وتقودها فى الطريق السوىّ ، وإذا كان بعضنا يرتاب فى أصلها وطريقة وضعها ورموزها ، فليس له أن يعلن هذا الارتياب لئلا

من ذكريات الصبى

الذهاب الى المدرسة

للأديب حسين شوقى

حينما أعيد على نفسى الآن بعض ذكريات صباى ، أدهش من الشخصية المؤلمة التى كانت لى فى ذلك العهد .

كنت مضرباً أولاً عن الذهاب الى المدرسة ، برغم تقدمى فى السن ، وقد بلغت الثامنة . . وكان والدى يحبنى كثيراً ، فلا يعارضنى فى رغبتى ، برغم إلحاح أفراد أسرتى جميعاً ، وبخاصة مربيتى العجوز ، وكانت امرأة شركسية شديدة المراس ، تفشل معها حيلى وتوسلاتى . كانت هذه المربية مغرمة بالمشاكسة ، فإذا لم تجد من تشاكسه ، عمدت الى ضرب القطط والكلاب .

وكنا جميعاً نتحمل هذه المربية المتعبة ، لأنها قديمة العهد عندنا ، إذ كانت مربية لوالدتى قبل أن تكون مربية لنا .

وكان لا يروق هذه المربية أن تثير موضوع ارسالى الى المدرسة إلا أثناء الطعام ، فتنغص علىّ . فكان والدى رحمه الله يثور عليها ، وينحى عليها باللوم القارس فتسكت ، ولكن تعود فتتمتم شتائم – بالتركية – تتناول الجميع .. فكنت من جانبى أنتهز هذه الفرصة للثأر منها ، إذ أعيد بالعربية فى صوت عال هذه الشتائم .. فيهيج عليها الجمع ، ويضطرونها الى مغادرة الحجرة مغضبة ثائرة . .

ولكن لما تكررت منى هذه « الدسائس الشرقية » افتضح أمرى ، وأخذت مربيتى تقابل دسائسى بالدس لى ، فألحت إلحاحاً شديداً فى إرسالى الى المدرسة حتى تمكنت من ذلك ، للتخلص منى غالباً ، لا حباً فى العلم .

أدخلت مدرسة الآباء اليسوعيين « بالظاهر » بالقسم التحضيرى الذى تديره الراهبات . . وكان بين مربيتى وبينى نضال كل يوم فى الصباح ، إذ كنت أحاول ألا أذهب الى المدرسة ، متعللاً بالمرض . . ولكن مربيتى الخبيثة كانت تفهم حيلتى ، فتقول : حسين . . إذا كنت مريضاً فابق بالمنزل ، ولكن عليك أن تأخذ مسهلاً ، فكانت بقولها هذا تضعنى بين أمرين أحلاهما مرّ . . وكنت فى النهاية أفضل المسهل لأن المدرسة كانت سجناً ؛ إذ أغادر المنزل فى الساعة السابعة صباحا (وكنا وقتئذ نقيم فى المطرية) ، ولا أعود إلا فى الساعة السابعة مساء ، أى أن النهار كان يولد ويموت وأنا بعيد عنه وعن ضوء شعاعه البهيج . .

حقاً ، ما أتعس حياة التلميذ !

كان الخادم المكلف بمرافقتى من المدرسة الى المنزل يتأخر أحياناً لدى الخروج ، فكنت أجهش بالبكاء مخافة أن أقضى ليلى أيضاً بالمدرسة . .

وكان لى رفيق بالمدرسة ، مصرى كذلك ، يبكى مثلى اذا تأخر عنه خادمه ، فيا لنا وقتئذ من جوقة نداّبة !

أما داخل المدرسة فكان الراهبات الطيبات لا يألون جهداً فى تحبيب الحياة المدرسية الينا ، فكن يغمرننا بالهدايا ، من ورق ملوّن وحلوى وغيرها . . ولكن برغم هذا كله كنت أطمح الى استرداد حريتى المفقودة ، فما أبعد الفرق بين حياة تقضى بين جدران أربعة فى وسط الغرباء ، وبين حياتى الأولى التى كنت

يؤثر فى عقول العامة ويخرج بها عن إيمانها وتقواها ، ويثير فى قلوبها الشكوك . فلولا الدين لعمّ الانسانية البلاء ، وتفاقمت الشرور ، وتعاظمت الويلات ، وانغمس الناس فى الرذيلة ، وعاشوا لأهوائهم ، وباتوا كالانعام ! .

فليطمئن الأديب الدمشقى إذاً بالاً ، فالدين نحترمه ونرغب فى أن نصونه ممن يتاجرون به لو استطعنا الى صونه منهم سبيلاً . وما حديثنا عن الرواية فى كتب الدين غير حديث اقتضاه الأدب لا الطعن على الدين . والأديب الفاضل رأى بعينيه ، مما أوضحنا له ، أن للرواية من أى كتاب دينى أكبر نصيب . فليهدأ روعه القلق ، ولتسكن حدته ، ولينظر مرة أخرى فى مقالنا « ماهو أدب اليوم ؟ . . » فيثبت له أننا وضعنا الكتب الدينية على مسافة بعيدة جداً من روايات « ڤولتير » ، واعترافات « جان جاك روسو » وغراميات « لا مارتين » . . .

وعهدنا بالأديب الدمشقى تكفيه الاشارة !

بيروت كرم ملحم كرم

صاحب مجلة « العاصفة »

أقضيها فى رياض المطرية الغناء ، متنقلا بين الخضرة والزهور .

إن الحرية لا تقدر فى كل وقت وفى كل زمن !

كم كان يرهقنى فى ذلك الوقت حفظ أشعار لا فونتين ! فكنت أبغض ذلك الشاعر المسكين ، كما كنت أسخر منه ، لأنه يجعل الحيوانات تتكلم شعراً . . من رأيي ألا يُدرس لا فونتين وأمثاله فى مثل هذه السن التى لا يمكن فيها تقدير هذه النفائس الأدبية . .

ولكن ذهابى الى تلك المدرسة لم يدم طويلا ، فقد فصلت منها لكثرة انقطاعى ، فجيء لى حينئذ – بفضل تعضيد والدى – بمدرسين فى المنزل ! فكان هذا بداية عهد سعيد ، لم يطل مع الأسف ، إذ نفينا بعده بأشهر قليلة الى اسبانيا !

* * *

وأذكر من ذلك العهد أيضاً حادثاً يدل على مقدار حقد الطفل وعلى روح الانتقام الكامنة فيه ، وذلك خلاف ماينسب اليه من طهر وبراءة .

اشترى والدى وقتئذ سيارة (توربيدو) ذات أربعة مقاعد ، وكنت أطمح الى أن أقودها مثل أخى وهو يكبرنى بسنوات قليلة ؛ ولكن السائق رفض لصغر سنى ، فرفعت الامر كعادتى الى والدى فلم ينصفنى على خلاف عادته ، بل أعطى الحق للسائق إشفاقاً منه على حياتى . فأقسمت أن أثأر من السائق ، واليك كيف أتيحت لى الفرصة أن أحقق هذه الأمنية :

كانت هناك فى المطرية فى ذلك الوقت حانة تديرها أجنبية فاسدة ، يحذروننا منها . فاتفق ذات يوم أننى كنت عائداً فى المساء من محطة المطرية الى المنزل – مشياً على الأقدام – فاعترضنى فى الطريق جنديان بريطانيان يستفهمان عن عنوان تلك الحانة ، فأعطيتهما من فورى عنوان منزل السائق ! فكان ما قدّرته ، إذ عندما جاء السائق – الى منزلنا – فى صباح اليوم التالى ، كعادته ، كانت عينه اليمنى زرقاء اللون ، فقد تشاجر مع الجنديين البريطانيين ذياداً عن عرضه ! .

حسين شوقى

من ذكريات لبنان

النفوس المغلقة

للأستاذ أديب عباسى

نهضت فى الصباح الباكر ودعوت حمالاً يحمل الحقائب إلى المحطة . وكنت قبلها قد هممت مرتين فى صباحين متواليين أن أسافر ، ولكننى كنت كل مرة أصل المحطة متأخراً عشر دقائق أو نحوها . وكنت بالطبع ألقى اللوم على أصحاب الفندق الذين يتعمدون التلكّؤ عن تنبيهى صباحاً حتى يستنزفوا البقية الباقية من دراهمى ! والحقيقة التى لامراء فيها أن أصحاب الفندق لم يهملوا تنبيهى فى الوقت الذى سألتهم أن ينبهونى فيه ، ولكن الرغبة الكامنة للبقاء فى هذا البلد الجميل – لبنان – كانت كل مرة تتغلب على الارادة الشاعرة فتغمض العينين بعد انفتاح وتضرب على الأذنين بعد انتباه ، وتهوم للشعور فيغفو بعد صحو ، ويغيب بعد حضور .

وكنت بعد أن أبلغ المحطة وأحملق فى القطار الذاهب فى حنق مكذوب أعود أرضى نفساً وأوفر بشراً مما لو كنت لحقت بهذا القطار – قطار لبنان العجيب – ليحملنى بين أنفاسه الفاسدة فى أنفاقه المتعددة ، وسيره المتخلع البطيء ، ويلفظنى بعد مسيرة سبع ساعات على حال شر من الحال الذى خرج عليه يونان بعد ضيافة ثلاثة أيام قضاها فى بطن الحوت فى غير رحب ولا سعة .

وسمعت ، وأنا لا أزال فى الطريق ، مناديا ينادى : ياأفندى ، تفضل ! وأدركت أننى أنا المقصود بهذا النداء . فاستدرت ونظرت وإذا شاب حسن البزة واقف بجانب سيارته البديعة وعينه الى ويده تشير إلى السيارة . ودنوت أسأله فى تلكؤ متكلف ماذا يريد ، فأجابنى متلطفاً : أوتوموبيل جميل . وخير لك أن تسير فيه من أن تسير فى القطار .

وبعد أن استنزف بلاغته فى صرفى عن السفر فى القطار قال : إننى لا آخذ منك إلا مثل ما آخذه من كل راكب . وذكر مبلغاً هو

ضعف ما يؤخذ عادة أجراً على مثل هذه المسافة. وعندها أدركت أنى ألبس سدارة، ومن هنا سيأتينى الخطر فى هذه الصفقة، وبادرت أصلح الموقف على قدر ما يمكننى الاصلاح وقلت: نتعلم أن من غير العراقيين من يحب أن يلبس السدارة (واخواننا العراقيون - سامحهم الله - يبعثون، حيثما حلوا، موجة من الطمع فى نفوس الساقة والباعة. على أن السدارة من ناحية أخرى «حماية» وصاحبها لا يرزأ إلا فى نقوده. وفيما عدا ذلك فهو من نفوس القوم حيث تشاء الكرامة ويسمو الأباء والعزة). وبعد مساومة قصيرة رضى صاحبنا بنصف القيمة التى ذكرها.

ووقفت السيارة أمام فندق جميل من فنادق (عاليه). وبعد نفخة أو نفختين من بوق السيارة أقبل راكبان: رجل وامرأة يجرى أمامهما طفلان صغيران.

والرجل ربعة القامة، تخطى العقد الرابع من عمره، جامد الملامح، محنى الظهر كأنه يحمل عبئاً ثقيلاً. أما الفتاة ففى ربيع الحياة، فى قامة هيفاء يخيل إليك أنها نحيلة وما هى بنحيلة؛ ضحوك المبسم فى وجه صبوح، ونظرات تشع ذكاء، يكسر منها قليلاً خفر طبيعى ووداعة ملازمة.

***

وانطلقت بنا السيارة فى بطء ملحوظ. فكأن سائقها الذكى فهم من تلفتنا ونظراتنا الشائعة أننا نودع عزيزاً ونشيع غالياً، فلا تحمد السرعة فى هذه الحال.

وأطلت زوجة المزامل من نافذة السيارة، وأخذت تجيل الطرف فى كل ما يمكنها من اتجاه. والتفت إليها زوجها ونصحها مترضياً بأن تكف عن النظر والالتفات، وإلا أصابها الدوار؛ ثم إذا كان لابد من النظر فلتنظر إلى الأمام فقط.

والتفتت إليه الفتاة وقالت فى وداعة ظاهرة: لست أرى أمامى إلا الزفت؛ فهل تريد لى أن أغادر لبنان وليس ما يقع عليه ناظراى إلا الزفت؟ إننى أحب أن أشبع النظر من لبنان، وأشبع الخاطر من فتنته قبل أن أغادره. فبادرها بقوله: ماذا فى لبنان مما يفتنك ويتصباك، ويجعلك تعرضين نفسك لخطر الدوار المؤكد؟ عندها خاطبتنه فى شىء من التبرم وكثير من الأغراء والرغبة فى استثارته إلى مشاركتها فى متعتها وقالت:

الله! ألا ترى هذه الجبال كيف تهاوت صخورها عند الحضيض، وكيف شخصت برؤوسها الممددة كأنها أعسال رصت صفاً وراء صف؟ ثم ألا ترى إلى هذه الأخاديد والوهاد كيف تقطعها تقطيعاً بديعاً فتجعل منها مثل ما تجعل الشوارع من المدينة؟ وإليك هذه الأشجار، منها الجبار يقف ثابتاً لا تلويه ريح ولا يثنيه إعصار، تستكين إلى ظلها هذه الشجيرات الصغيرات كأنها الحجلان تفىء الى جنح الأم وتلوذ بحنوها وتدنو قدر ما تدنو من قلبها الخفاق. ألا ترى فى ذلك جمالاً ولا جلالاً؟؟ وأى جمال وأية فتنة فى هذه الجبال الجرداء الشامخة تقوم الى جانبها هذه التلال الوطيئة فى هذا الحقل من شجر الأرز، والسنديان يكلل رؤوسها، وكأن كل ربوة من رباها دوحة جبارة واحدة أغصانها جذوع هذه الأشجار وأوراقها أغصانها!! ثم هذه الغيوم ومنها الذى أسف الى قعر الوادى واختلط بأهله اختلاط الألفة، وجاورهم جواراً زالت معه الكلفة؛ ومنها الذى أبى إلا تصعيداً ومنافسة لأعلى هذه الجبال فيختم على رأسه إكليلاً من ذهب صباح مساء، ومن فضة فيما بين ذلك؛ ومنها الذى أبى إلا امعاناً فى التحليق والتصعيد فوق ذلك، فجعلت من التيارات القوية ما يجعله النسر من ريش الطائر، وقد شد النسر عليه مخالبه وألهبه سعار الجوع؟ ثم هذا البحر المسجى من ورائنا، جاث عند ركبتى لبنان يبللها بزبده ويغسلها بموجه، ويهمس فى أذنه أن خل مكانك، وتعال أبوئك الصدر بدل أن تكتفى منى بالزبد، والزبد دائماً يذهب جفاء. وقديماً أغراه همس البحر السحرى فتحرك وتناول خير ما أنبت، وبعث به جوارى من الأرز ملء ضلوعها رجولة وقلوب كبيرة... أونسيت الباروك وماء القر النمير؟ أنسيت ينابيع لبنان المثلجة وكيف كنا نتجرع ماءها قطرة قطرة لما كانت تفعل الجرع الكبيرة المتوالية فى الأسنان؟ ثم هل نسيت البارحة وكيف أمطرتنا السماء وابلاً اضطرنا أن نتعطف المعاطف كأننا من الناس فى شهر آذار؟ أمثل هذا يجتمع ويتيسر لغير لبنان من بقاع الدنيا؟ أوه! وماذا أقول فى هذه المدن المنثورة المنورة، وقد ألهبتها فى الليل مشاعل الكهرباء، فغدت نجوماً تومض على الأرض، وتتحدى السماء فتحار أيهما أجمل وأروع: تلك التى تحتك، أم هذه التى فوقك؟ وهذه البيوت المبثوثة هنا وهناك، لاهى بالقرى المتراصة ولا هى بالصوامع المنعزلة، ترف عليها وحولها أغصان

السنديان والصنوبر رفيفاً كأن يداً سحرية تروح عليها ؛ وأخيراً هذه الحمائم البيضاء فى عرض البحر تمد أجنحتها للريح تتلقى منه المدد ، فتسير باسم الله مجراها ومرساها ؟ أنسيت كل هذا لتسألنى ماذا فى لبنان من جمال وماذا أرى من فتنة ؟ ألا يفتنك بالله هذا التعانق الشديد بين السماء والماء والغبراء ، وهذه الألفة الفاتنة بين هذه العناصر حتى لكأن هذا ما خلق إلا ليكمل ذاك ، ولا ذاك إلا ليكمل هذا ؟ ؟ !

وبعد أن غمرت فتاتنا فتاها بهذا السيل الجارف من الأسئلة صمتت ترقب وتتأمل . وفتح صاحبنا فاه . أوتدرى بماذا أجاب عن كل ذلك ؟ قد تحسبه أضاف لوناً آخر الى هذه اللوحة التى رسمها خيال فتاتنا بهذه السرعة الطائرة ؟ لا ! إن شيئاً من هذا لم يحدث ، إذ لم يزد صاحبنا أن قال :

هذه الجبال قد رأيت مثلها وأعلى منها فى البرازيل . والأشجار — كذلك — فى البرازيل ، لفّة مندَاحة تكاد لا تدع لأحد منفذاً . والبحر رأيت أضعاف سعته فى طريقى الى أمريكا . والمطر كثير أيضاً فى تلك البلاد . والباروك يُعدّ « حنفية » ماء بالنسبة الى الأمزون .

عندها كدت أنشقُّ غيظاً ، وهممت والله أن أتناول شيئاً وأطرحه فى وجه هذا الجلف الغليظ القلب ، الذى لا يرى إلا أن يقيس الجمال بالأميال ، ويكيله بالمكيال . وحاولت الفتاة محاولات يائسة أن تنبه من هذا الصخر مكامن الأحساس بالجمال ، فكانت — كما يقولون — كالصارخ فى واد ، وكالنافخ فى رماد .

***

وأدركت أخيراً مَن الفتاة ومَن فتاها : هى شعلة من الذكاء والثقافة العالية ، والاحساس العميق بالحياة ، والتفطن الى همس الجمال به صوته . أما هذا الذى يجالسها فهو من هؤلاء الذين ذهبوا إلى أميركا ورجعوا خلواً من كل شىء ، إلا المال ، فتقدموا بهذا الطعم المغرى ، فاصطادوا خيرة الفتيات جمالاً وعلماً وذكاء .

وصاحبنا هذا — مع الأسف الشديد — ليس بالمثال النادر فى الشرق ولا بالشاذ ، وإلا ما كنا نُعنى به ونغثى على القارئ الكريم بعرض صورته البغيضة ، إنما هو يمثل لنا طغمة من الناس فى شرقنا كثيرة كثرة مفزعة حقاً ، لاتنفتح نفوسهم على جمال ، ولا تنبسط لفتنة ولا تنشط لمتعة من متع الفن . يعيش الواحد من هؤلاء فى بقعة ركم الجمال فيها ركماً ، ولكنه يحيا — ان صح أنه يحيا — ويموت ، وكأن هذا الجمال لايعنيه بحال من الأحوال ، وكأن هذه المفاتن لأناس من غير طينته ، وفى عالم غير عالمه . وقد يصيب بعضهم من ينبه فيهم مراكز الجمال ، والتفطن إلى مواطن الملاحة فتتبدل النفوس غير النفوس وتنقلب حياتهم انقلاباً شديداً ، وتنفسح أمامهم متع الحياة انفساحاً يمتد مداه على قدر ما تكشّف لهم من مفاتن الطبيعة ومجالى الجمال . إلا أن السواد الأعظم منهم يظلون على جمودهم ونضوب أنفسهم مهما حاولت أن تثير فيهم مكامن الاحساس بالجمال ، وتذوق الفن . وإذا رأيتهم يستملحون أو يستظرفون فانما يفعلونها من طرف لسان ومجاراة ، خشية أن يرموا بتبلد الأحساس وعقم العاطفة . ولسنا نعزو هذا إلى نقص طبيعى فى الأحساس ونضوب معين العاطفة فى الشرقيين ؛ إنما نعزوه متأكدين إلى نقص فى التربية وتقصير فى التوجيه . فمدارسنا قلما تعنى بتنبيه مواطن الأحساس بالجمال فى الصغار ، وإذا فعلت ففى صورة سطحية ميكانيكية ، وهو تقصير يدفع الشرقيون اليوم ثمنه غالياً — يدفعون ثمنه ضعفاً فى الوطنية ، وجموداً عن التضحية . وهل نرجو خيراً ممن لا يرى فى جبال بلاده ولا فى سهولها ، ولا فى حزونها ولا فى أنهارها ، ولا فى ينابيعها ولا فى أشجارها ، ولا فى أطيارها ، ولا فى سمائها ، ولا فى مائها سحراً ولا فتنة يربطانه بها بعرى من الشوق والهيام لا تنفصم ولا تهى ؟ ؟ هذا الأوربى إجمالاً والانكليزى ، على التخصيص ، أنظر كيف ينقل ذكرى جباله وأنهاره ، وقراه ودساكره ، ووديانه وينابيعه ومدنه إلى أميركا وأفريقيا وأوستراليا وغيرها من قارات العالم ؛ لم يستطيعوا أن ينقلوا هذه الأشياء العزيزة عليهم بالذات فنقلوا ذكراها المحببة ، فظلت تربطهم بها رابطة من الشوق والهيام يؤكدها التذكر ويديمها النوى .

***

ولنعد إلى فتاتنا . فقد شاقنى حقاً أن أتابع هذه الدراما الصغيرة إلى النهاية ، أبت الفتاة إلا تطلعاً وإسرافاً فى التطلع ، رغم نصائح زوجها الغالية ، فكأن حديثها السابق قد أذكى شعوره

وفتح لها أفقاً أوسع للتفطّن والاستشراف ، وقد آلمني حقاً أمر هذه الفتاة . فهى تشعر شعوراً عميقاً بهذا الجمال الغزير وتأبى إلا أن تشرك غيرها معها فى هذا الشعور ، وهى نزعة طبيعية ملحوظة فى جميع الناس . فليس أحد يشعر بجمال الفن سواء أكان طبيعياً أم صناعياً ، إلا يرغب أن يرى من يساهمه فيه الأحساس ويشاطره المتعة ، ولعلّ متع الفن هى المتع الوحيدة التى لا يخشى المرء فيها الشركة ، بل هى المتع الوحيدة التى لا تطيب نفسه ولا يحسُّ بها أرهف الاحساس وأحده ، إلا إذا كان من يشاركه . فكأن كثرة الناظرين أو السامعين لآيات الفن ، المرايا تتقابل حول الصورة فتضاعف الأشباح وتزيد الصور .

***

ويئس صاحبنا من صرف الفتاة عما تريد من النظر والتلفُّت ، فراح يتلهى بالصغيرين ويناغيهما ، وانتهى به الحديث معهما والمناغاة إلى صيغته بعينها جعلها لازمة حديثه وهى : يا بابا ! صباح الخير يا بابا ! وراح يرددها ويدهورها فى حنجرته طوال الطريق . وخيل إلى أن الرجل لن يكف عن ترديدها ولو أمسى المساء ، وضاقت به الزوجة الوديعة ذرعاً (وللصبر حد) وطلبت اليه متوسلة أن يكف عن الحديث ، أو يغير هذه العبارة التى يوشك أن يتبرم بها الصغيرين ! وصمت قليلاً . فخيل إلينا أننا قد أرحنا بهذا القليل من الجرأة من هذه القدر المقرقرة . غير أنه ما عتّم حتى عاد وكأن عشرين ضفدعاً تنق فى حلقه ! ولعله خشى إذ صمت أن نحسبه ذلّ وخنس . فضاعف الصخب وزاد الجلب ، وقلت : ليتك يافتاتى لم تحاولى إسكاته ، فقد زدته ضراماً على ضرام . على أنه لم يمض حتى فاجأه أحد الصغيرين بقىء شديد ملأ صدره وانحدر يسيل إلى أسفل ، وهنا عبس الأب وانقطع عن المناغاة ، واضطر أن يشتغل بإماطة ما علق بصدره من هذا السائل المبارك ، وقلت فى نفسى : عوفيتَ معدة ياصغيرى ؛ فقد ابرأت سقمنا ، وجازيته جزاء وفاقا ، وليت معدتك أوسع قليلاً فقد نحتاج إليها مرة أخرى .

***

وبلغت السيارة دمشق . وغادرتها وفى القلب ما فيه من غصة وألم بهذا الدهر الأهوج الذى يجمع بين الأنسان وشبه الأنسان .

أديب عباسى

فى الأدب الدرامى

١٠ - الرواية المسرحية

فى التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

الملهاة فى خلال القرون

أول ما نال الملهاة الأغريقية من العناية كان فى صقلية . وكانت يومئذ مقصورة على تصور العادات العامة دون تلميح إلى السياسة . وكان عميدها فى هذا القطر إبيكارم (٤٥٠ ق م) . فلما انتقلت إلى أثينا تقلب بها الزمن . فمر بها على أدوار ثلاثة : دور الملهاة القديمة ، ودور الملهاة الوسطى ، ودور الملهاة الحديثة . فالقديمة تمتاز بكثرة النقد الشخصى الصريح ، فتسمى الأشخاص وتعين الحوادث . وكانت تستمد موضوعاتها من الوقائع اليومية . وتتمتع بالحرية المطلقة فى مهاجمة العظماء . والوسطى ظلت كتلك تهاجم أشخاصاً معينين ، ولكنها عفت عن ذكر أسمائهم ، وأخذت تمثل أنماطاً من الناس وصوراً من الأخلاق ، وأما الحديثة فلم تطلب الجاذبية والتشويق فى الحوادث اليومية والأهاجى الشخصية ، وإنما طلبتهما فى تعقيد العمل الروائى ، وتصوير الأخلاق العامة . وأشهر من عالج الملهاة القديمة أرسطفان (٤٥٠ — ٣٨٧ ق م) وقد كان معروفاً بصفاء الأسلوب ، ومرارة الهزل ، وشدة الوطنية . غير أن مناظره كانت خليعة فاحشة . أما الملهاة الوسطى والحديثة فلم يؤثر منهما غير قطع منثورة مشتتة ، حتى سنة ١٩٠٧ ، فعثروا على ملهاة تكاد تكون كاملة ؛ وهى ملهاة التحكيم لميناندر .

وكان للملهاة عند الرومان من العناية والحظ ما لم يكن للمأساة ، فقد نبغ فيها كثير منهم ، أشهرهم (بلوت ٢٢٧ — ١٨٣ ق م) وقد سار على نهج إبيكارم ، إلا أنه عرف بسرعة العمل الروائى ، ونشاط الحوار ، دون تصوير للعادة ، ولا تحقيق للخلق . ثم (تيرانس) (١٩٢ — ١٥٩ ق م) ، وقد قلد مننياندر ، وامتاز

فى هزاه بالحرارة والأناقة والأدب وتنويع الأخلاق والصدق فى وصفها .

ثم هجرت الملهاة فى القرون الوسطى ، وخلفتها فى الشهرة والذيوع الرواية الرمزية الخلقية (Moralités) ، والملهاة العامية (Farce) ، والأحموقة (Sotisè) ، فلم يدب فيها دبيب الحياة إلا فى القرن السادس عشر . فعادت إلى الظهور فى ثوب الملاهى الأغريقية والرومانية ، غير أنها كانت مصبوغة باللون الحديث ، مطبوعة بالطابع الفرنسى . وما زالت الملهاة تتردد بين الكساد والنفوق ، وتترجح بين الهبوط والصعود ، حتى جاءها موليير (١٦٢٢ — ١٦٧٣) فأقرها فى نصابها ، وشرع السبيل إلى كتابها ، وطبعها بطابع الملاحظة القوية والحرارة القلبية والذوق السليم . وقد عالج موليير أنواع الملهاة المختلفة بالنظم والنثر : فله غير الملاهى المجونية والاشكالية ، ملاهٍ اجتماعية : كالمتحذلقات السخيفات ، والنساء العوالم ، والحضرى الشريف ؛ وملاه خلقية : كترتوف ، ودون چوان ، والمتوحش ، والبخيل .

كان موليير يتناول العيب أو الحمق وهو فى عنفوانه ، فيصور منه مناظر طبيعية صادقة ، ثم ينتهى من هذا التصوير ببيان عواقبه الوبيلة على صاحبه وعلى المتصلين به . فتصوير العيوب هو أكثر ما فى ملاهى موليير . أما التعقيد الروائى فواهٍ ضعيف ، والحل فى جملته يعوزه الامكان والمنطق ، إذ ليس نتيجة طبيعية لحوادث العمل . ثم ذهب موليير وأعقبه رِنْيار (١٦٥٥ — ١٧٠٩) فكتب طائفة من الملاهى الاشكالية كالمقامر والذاهل ، ولكن أخلاق أشخاصه ليست محددة الرسوم ، وإنما ملأها بالنكات المضحكة ، حتى قال فيه (چوبير) (رنيار يهزل هزل الخدم ، وموليير يمزح مزاح السادة)

ومر القرن السابع عشر ، ولم يشتهر فى الملهاة غير هذين الكاتبين . ولما جاء القرن الثامن عشر ظهرت فيه طائفة من الملاهى الجيدة . كملهاة تركاريه Turcaret أو المالى ، للكاتب لُساچ (١٦٩٨ — ١٧٤٧) فضح بها حديثى النعمة من المثرين ، وحلاق أشبيلية ، وزواج الفيجارو لبومارشيه (١٧٣٢ — ١٧٩٩) وهما ملهاتان قويتان إلا أنهما لم تراعيا حقوق الأسرة . ثم المسارات الباطلة ، والوصية ، والتجربة ، لماريڤو (١٦٨٨ — ١٧٦٣) وهى ملاهٍ عُنى فيها كاتبها بتفصيل الدلال ، وتحليل الحب ، دون العناية بتصوير الأخلاق ووصف العادات . ثم اشتهر القرن التاسع عشر بنخبة من الملاهى القيمة لطائفة من نوابغ الكتاب . كبيكار (١٧٦٩ — ١٨٢٨) ، وسكريب (١٧٩١ — ١٨٦١) ، ولابيش (١٨١٥ — ١٨٨٨) ، وأوچييه (١٨٢٠ — ١٨٨٩) ، واسكندر دوماس الصغير (١٨٢٤ — ١٨٩٦) ، وڤيكتوريان ساردو (١٨٣١ — ١٩٠٨) . وقد كان النوع الغالب على هؤلاء الكتاب هو الملهاة الاجتماعية (Comédie de moeurs) مشوبة بالمذهب الطبيعى ، فقد أخذ أوچييه ودوماس يقللان فيهما تعقيد اسكريب . وجاء هنرى بيك (١٨٣٧ — ١٨٩٩) مؤلف (الغربان) فمحا التعقيد وتوخى بساطة العمل وسذاجة الأسلوب . ثم انقلب المذهب الطبيعى من بعد هؤلاء إلى مذهب المسرح الحر ، وهو مذهب سطحى الفكرة خامد الحركة ، يهزأ بالقواعد المسرحية ، ولا يتقيد بالعمل الروائى ، وإنما يكتفى بتكثير المناظر المضحكة ، وتصريف الحوار فى مختلف النكات المستطرفة الحديثة . ولم يدم هذا المذهب الخليع إلا قليلاً ، ثم أودى به إسرافه وتهوره . وظلت الملهاة الاجتماعية أو الجدية أو المبكية تساير الزمن ، وتتطور مع أهله ونظمه ، حتى حلت محل الدرامة الابتداعية (Le drame romantiqne) ، وأصبحت اليوم موضوع المسرح الحديث كما سنبينه عند الكلام فى الدرامة .

تلك حال الملهاة فى فرنسا . أما حالها فى إيطاليا فقد ظلت خافتة الصوت ضعيفة الأثر قليلة النجح حتى القرن الثامن عشر . فما كان يظهر منها قبل ذلك العهد إلا نوع غير مسطور ، يرتجله الممثلون تبعاً لخطة مرسومة من قبل . فلما نبغ الكاتب (جولودينى) (١٧٠٧ — ١٧٩٣) وهو عند الأيطاليين كموليير عند الفرنسيين ، أسس قواعد الملهاة ونهج سبيلها لبنى قومه .

وأما فى اسبانيا فملهاتها الوطنية كانت ملهاة المعطف والسيف (Comédia di capa a espady) وهى نوع من الرواية المنزلية ، بطلها دَعىٌّ من أدعياء الشجاعة الذين يسمونهم ماتاموور matamore (أى قاتل العرب) لأن الرجل من هؤلاء كان يملأ ماضغيه فخراً بكثرة ما قتل من العرب كذباً وادعاء . وكانت عنايتهم فى هذا النوع بتعقيد الحوادث أشد من عنايتهم بتصوير الأخلاق . وأشهر تلك الملاهى : الطاحون ، وكلب البستانى ،

للوبى دى ڤيجا (١٥٦٢ — ١٦٣٥)؛ وساخر أشبيلية، ونديم بطرس، لجبريل تلز؛ والحقيقة المريبة لرويز دالركون (١٦٣٩) وهى التى استمد منها موليير أخلاق ملهاة (الكذاب).

وأما فى انجلترا فلم ينبغ فى الملهاة غير شكسبير (١٥٦٤ — ١٦١٦) فقد كتب: (ثرثارات وندسور الفرحات)، وجعجعة ولا طحن (Much ado about nothing) وتيمون ألخ، وهذا كل ما تجده من الملهاة الأصيلة فى الأدب الانجليزى.

أما غيره فقد اكتفى باقتباس الملاهى الفرنسية أو تقليدها.

وأما فى ألمانيا فلم ينفق فيها غير الملهاة العامية فى ألعاب (المرفع)، وهو نوع من التمثيل المضحك البذئ. أما الملهاة الأدبية فلم يؤثر عن الألمان منها إلا شئ قليل القيمة عديم الأثر، على رغم مانال كوتزيبو وإِيرْمَان، وبلُوم، وبِينِديكْس، وهَكْلِنْدَرْ من الفوز.

تحليل موجز لأشهر ملاهى موليير

كانت الملهاة قبل موليير تعتمد على قوة المواقف بدلاً من تصور العواطف، وعلى المضحكات الخيالية بدلاً من المضحكات الطبيعية، وعلى أسماء الأجناس بدلاً من أسماء الأشخاص، وعلى العمل الخارق المستحيل بدلاً من العمل الواقعى الممكن. فكانت خليطاً مبهماً من الأسماء، ومكارم ساقطة من السماء، وعفواً فى موضع الانتقام، ومزيجاً غريباً من التقاليد الأغريقية والرومانية والاسبانية والايطالية. فجاء موليير فخلق الملهاة الفنية الحقيقية لجميع العالم، ولذلك نكتفى بأن نحلل بعض ملاهيه نموذجاً لبناء الملهاة، وتقسيم فصولها، وتدبير عملها، وتدريج جاذبيتها.

***

(المستوحش Le misanthrope) صورة لرجل كريم غالى فى الصراحة والتشدد حتى كان موضع الهزؤ والسخرية، وهى من الملاهى الخلقية التى لا وجود للعمل الروائى فيها. أهم أشخاصها: السِّسْت المستوحش، وهو خطيب سليمين، وفيلنت صديق السست، وهو رجل لطيف المعاشرة، إلا أنه مفرط المزاح، وسليمين فتاة أرملة تسعى إلى الاعجاب من طريق الزهو والصلف، وأُورنت حبيب آخر لسليمين، واليانت بنت عم سليمين، وآكاست وكليتاندر مركيزان، وأرسيونيه صديقة سليمين. وقد وقعت حوادثها فى باريس فى قصر سليمين.

الفصل الأول: السست وصديقه فيلنت فى قصر سليمين ينتظران خروجها عليهما، وفى أثناء ذلك يؤنب السست صديقه فيلنت على أنه لقى رجلاً فى عرض الشارع لا يكاد يعرفه، فبالغ فى تحيته وإكرامه. فهو يقول له: إن مثل هذا العمل لا يزكو بالحر ولا يتسع له العذر. وفيلنت يجيبه فى مداعبة ورفق: إن المرء مادام فى الناس مقضىٌّ عليه أن يسايرهم بالمصانعة، ويعاشرهم بالموادعة، والحياة تحب التظرف، والعقل يكره التطرف. ولكن السست مسرف فى بغض الناس فلا يستمع له، حتى أن له قضية منظورة فى المحكمة لا يفكر فيها ولا يشغل باله بها اعتماداً على ظهور حقه، بل يتمنى أن يخسرها لتهيىء له أسباب السخط والحفيظة على ظلم الانسان. على أنه بالرغم من انقباضه واستيحاشه يحب فتاة أرملة تدعى سليمين، ولكنه يعترف بدلالها وخلاعتها، ويأسف لأنها تستقبل فى بيتها كثيراً من الخطاب والأحباب، وهو لذلك يريد أن يستطلع رأيها فى هذا الموضوع. ويدخل على الصديقين فى هذه الساعة أورنت — وهو خطيب آخر لسليمين مولع بقرض الشعر — فينتظرها معهما. وفى أثناء ذلك يرجو منهما أن ينشدهما قصيدة من نظمه، فيستحسنها فيلنت ويستهجنها السست، ولكنه يمسك على مافى نفسه منها، ثم يلمح بما فيها من المآخذ، وينتهى به الأمر الى التصريح بأنها سخيفة ركيكة، فيخرج الشاعر غضبان يتوعد. ويقول فيلنت لصديقه وهو يحاوره: هاك خصومة جديدة جلبتها على نفسك بافراطك فى الصدق وغلوك فى الصراحة.

الفصل الثانى: (بهو سليمين والغيبة). يلقى السست سليمين فيلومها على خلاعتها، ويريدها أن تصرح له بحقيقة حبها ورغبة قلبها، فيقطع عليهما الحديث قدوم (آكاست) و (كليتاندر)، ثم (اليانت) و (فيلنت) فيأخذون مجالسهم، ويخوضون فى أعراض الناس، وتجيد سليمين وصف النفوس اللئيمة، فيعجبون بها ويصفقون لها. ولكن السست ينكر ذلك منها، ولا يجرؤ على مجابهتها بالانكار، فتنفجر مراجل غضبه على المراكيز لتصويبهم رأيها. فاذا ما تسارى الغضب عن وجهه عاد الى سليمين يسألها أن تعلن من اختارته من الخطاب، ولكن شرطياً يقتحم الباب فجأة ويدعوه الى المحكمة للفصل فى الخصومة التى بينه وبين أورنت.

الفصل الثالث : (خبث الرياء وعبث الدلال) كذلك المركيزان آكاست وكليتاندر يريدان سليمين على أن تعلن من اختارته منهما ، وتقبل (أرسيونيه) صديقة سليمين فيخرج المركيزان وتخلى الصديقتان فتتبادلان السباب فى أسلوب المناصحة : تحكى أرسيونيه لسليمين فى لهجة مرة ما رميها به الناس فى الأندية والمجامع من الخلاعة والتهتك ؛ وتحكى سليمين لأرسيونيه ما يتقوله الناس عليها من المراءاة بالحشمة وهى داعرة . ويدخل عليهما ألسست فتخرج سليمين لتكتب رسالة وتتركه مع أرسيونيه فتنتهز هذه الفرصة لايغار صدر ألسست على سليمين فتريه أنه مخدوع وأنها خادعة ، وتعده أن تقيم له على خيانتها إياه الدليل .

الفصل الرابع : (رسالة سليمين) يأتى فيلنت فيعلن أن الخصومة بين ألسست وأورنت قد انتهت بالصلح ، ويدخل من بعده ألسست وهو ينتفض من الغضب ، وفى يده كتاب غرام من سليمين إلى أورنت جاءته به أرسيونيه دليلاً على خيانة خطيبته فيقول : آه ! لقد خاب الرجاء ، وضاع الأمل ، وظهرت الخديعة ، وبان الغدر ! فتترضاه سليمين بالدهاء ، وتفثأ غضبه بالملاطفة ، ويجرى بينهما الحديث ، ولكن خادمه يأتى مسرعاً إليه ينبهه إلى أن شرطياً جاء يقبض عليه فى خصومة .

الفصل الخامس : (المقاطعة) يخسر ألسست قضيته التى أهملها فينحى باللوم والسخط على فساد الحياة ولؤم الناس ، ويعثر أكاست وكليتاندر على رسائل لسليمين فيقرآنها على السست ويستيقنون جميعاً بأنها تخونهم وتخدعهم . وينصرف عنها المركيزان ويبقى السست مقيداً بسلاسل هواها ، فيعدها بالعفو عما سلف إذا رضيته زوجاً وعاشت معه فى خلوة الريف ، فترفض طلبه . فييأس المستوحش ويعتزل الناس وهو يقول :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل

ملحوظات على الرواية :

الفصل الأول آية من آيات الفن ، فقد عرض فيه المؤلف فى حوار قوى على لسان فيلنت وألسست أسماء الأشخاص الأصليين وأخلاقهم ، وذكر غضب السست وغرامه ، وبرودة قلب فيلنت ، وخلاعة سليمين ، واخلاص إليانت ، ورياء أرسيونيه الخ . أما التعقيد فيؤخذ عليه ضعفه وبطؤه ، إلا أن العمل كان وبسط الأخلاق متدرج . والحل يعيبه بعض النقاد بالنقص من غير حق . فان سليمين جوزيت على خلاعتها وخبها بأن هجرها خطابها جميعاً . وألسست اعتزل العالم ، والمركيزان ذهبا يعرضان زهوهما الأجوف فى مكان آخر ، وفيلنت واليانت يستعدان لحفلة الزفاف .

يتبع (الزيات)

فى المعلقات أيضاً

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

...... ولابد قبل المضى فى تكميل رأينا فى المعلقات أن نعود إلى الكلام على مذاهب علماء الأدب، قدمائهم ومحدثيهم فى تسميتها، فان الذى يراه أبو جعفر النحاس ليس كما ذكرناه فى (الرسالة) وذكره غيرنا قبلنا فتأثرنا به، أن هذه القصائد سميت باسم المعلقات من قول الملك (علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزانتى) فيكون أبو جعفر على هذا مشاركا لغيره من القدماء فى قدم هذه التسمية، ولا يخالفهم إلا فى توجيههم لها بأنها مأخوذة من تعليقها على الكعبة. ويذهب علماء العربية الأوروبيون بفضل الرأى الراجح الآن فى هذه التسمية، أنها حديثة مصنوعة فى عصر التدوين أو قبله بقليل، وأنا ننقل هنا كلام أبى جعفر فى ذلك لنرى مذهبه حقيقة فيه.

قال فى افتتاح شرحه للقصائد السبع: «الذى جرى عليه أمر أكثر أهل اللغة الأكابر فى تفسير غريب الشعر، إغفال لطيف ما فيه من النحو، فاختصرت غريب القصائد السبع المشهورة، وأثبت ذلك ما فيها من النحو، ولم أكثر الشواهد ولا الأنساب، ليخف حفظ ذلك إن شاء الله تعالى».

وقال فى آخر شرحه لها: «فهذه القصيدة آخر السبع المشهورات، واختلفوا فى جمع هذه القصائد السبع، فقيل العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون، فاذا استحسن[1] الملك قصيدة قال: علقوها وأثبتوها فى خزائنى. فأما قول من قال إنها علقت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة، وأصح ما قيل إن حمادا الراوية لما رأى زهد الناس فى الشعر، جمع هذه السبع وحضهم عليها، وقال لهم هذه المشهورات، فسميت القصائد المشهورة لهذا».

فهذا صريح فى أن أبا جعفر لا يرى فى المعلقات أيضاً رأى من يذهب الى أن تسميتها بذلك مأخوذة من قول الملك (علقوا لنا هذه) وإن كان يراه أرجح من رأى من يرى أن تسميتها بذلك مأخوذة من تعليقهم لها بالكعبة، فكلا الرأيين عنده مبنى على أن هذه القصائد كانت مجموعة قبل جمع حماد لها، فكانت معروفة عندهم بهذا الأسم (المعلقات) أو غيره إن كان لها اسم غيره، لأن جمعها هو الذى يجعل لها وجوداً خاصاً تحتاج أن تتميز فيه إلى اسم من الأسماء.

وأبو جعفر ينكر جمع هذه القصائد قبل جمع حماد لها، فهو عنده هو الذى جمعها، لما رأى زهد الناس فى الشعر، فجمعها لهم من الشعر القديم، وحضهم عليها، وهذا رأى آخر عند أبى جعفر غير ذينك الرأيين، وقد رآه أصح ما قيل فى هذه القصائد

فهناك لقدمائنا اذن فى هذه القصائد ثلاثة آراء لا رأيان، وأصح هذه الآراء الثلاثة عند أبى جعفر أن هذه القصائد لم يكن بعضها يمت إلى بعض قبل جمع حماد لها، بل كانت مغمورة فى الشعر العربى الجاهلى مثل غيرها من القصائد الجاهلية، ولم تكن تمتاز عليها باسم يجمعها من اسم المعلقات أو غيره، فلما جمعها حماد للناس قال لهم هذه المشهورات، فسميت القصائد المشهورة لهذا، وهو الاسم الذى ذكرها به أبو جعفر فى افتتاح شرحه لها وفى آخره أيضاً. ولا شك أن تحاشيه ذكرها باسم المعلقات كما يسميها غيره ويوجهه بأحد ذينك التوجيهين دليل على أنه لا يرى صحة تلك التسمية ولا يرى صحة التوجيهين اللذين وجهوها بهما، فهى عنده تسمية مستحدثة مصنوعة بعد الأسلام، وبعد جمع حماد لها، وهذا هو الذى ننسبه الآن الى علمائنا الأوربيين ليذهبوا بفضله، وينسى فيه فضل أبى جعفر رحمه الله.

هذا وقد رأيت فيما رجعت إليه قبل كتابة هذا المقال من شروح المعلقات، وقد تعلقت نفسى باستقصائها حتى يجيء بحثى وافياً فيها من تلك الناحية، رأيت ما يتفق مع رأيى فى المعلقات فى مقدمة الطبعة المنيرية لشرح الخطيب التبريزى على المعلقات العشر، إذ جاء فيها: (وذهب فريق إلى أن وجه تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرؤوسيهم ورؤسائهم، وذلك لشدة اعتنائهم بها) وهذا قريب من رأيى فى المعلقات، وهو من عجائب توارد الخواطر، ولكنه لم يبين فى تلك المقدمة

(1) لا يمكن أن يفهم من هذا ما فهم الأستاذ نولدكه أن هذا الملك كان معهم فى عكاظ، فقال إن من الصعب احتمال أن ملكا عربياً كان يشهد سوق عكاظ، بل الذى يفهم منه أنه كان يفعل ذلك وهو فى حاضرة ملكه بعد أن يجمع العرب على استحسان القصيدة فى عكاظ، ولا شك أن خزائنه فى حاضرة ملكه، فلا يقول أثبتوها فيها إلا وهو بها.

هل يذهب من يرى هذا فى المعلقات إلى أن تلك التسمية على توجيهة قديمة أو مصنوعة ، والظاهر أنه يراها قديمة ، وهو خلاف ما نراه فيها على توجيهنا لها .

وقد جمعت هذه القصائد السبع بعد جمع حماد لها جمعاً آخر مع قصائد أخرى يبلغ جميعها تسعاً وأربعين قصيدة ، قال عنها المفضل الضبى إنها عيون أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم ، وهى التى جمعها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه جمهرة أشعار العرب .

ويخالف المفضل حمادا فى أصحاب هذه القصائد السبع ، فهم عند حماد : امرؤ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن ربيعة . وهم عند المفضل : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . وقد تبع المفضل فى هذا أبا عبيدة ، وقال عن الشعراء السبعة : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب السموط ، فمن قال إن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة » . ثم ذكر بعد هذا السبع المجمهرات ، والسبع المنتقيات ، والسبع المذهبات ، والسبع المراثى ، والسبع المشوبات ، والسبع الملحمات .

وإذا كان المفضل يخالف حمادا فى هذا فهو يوافقه فى أنه لم يرد فيما رواه أبو زيد القرشى عنه تسمية هذه القصائد السبع بالمعلقات ، ولم يذكر إلا أن العرب تسميها السموط ، فاذا كان يعنى العرب الأقدمين فهى تسمية جاهلية ، وإذا كان يعنى العرب فى عصره فهى تسمية إسلامية . وقد كانت العرب قبل الاسلام تطلق هذا اللفظ على غير هذه القصائد السبع ، ومن ذلك ما رووا أن علقمة الفحل كان يأتى مكة فيعرض شعره على قريش ، وكانت العرب تعرض أشعارها عليهم ، فما قبلوا منها كان مقبولاً ، وما ردوا كان مردوداً ، فأتاهم مرة فعرض عليهم قصيدته :

هل ما علمتَ وما استُودعت مكتومُ
أم حبلُها إذ نأتْك اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد إليهم فى العام المقبل فأنشدهم قصيدته فى مدح الحارث الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلبه :

طَحا بك قلب فى الحسان طَروب
بُعيْد الشباب عصر حان مشيبُ

فقالوا هاتان سمطا الدهر

ويمكننا بعد هذا أن نجزم بأن اسم السموط كان يطلق عند العرب على قصائد غير هذه القصائد السبع ، ولا يدل ما ذكره المفضل على حصر هذه التسمية (السموط) فى هذه القصائد السبع ، وإنما معناه أنها كانت تسميها السموط فيما كانت تسميه بذلك من قصائدها ، فلا يدل ذلك على أنها كانت مجموعة متميزة عند العرب بهذا الاسم قبل جمع حماد لها ، بل يتفق هذا أيضاً مع ما رجحه أبو جعفر النحاس من أن حمادا هو الذى جمعها ، ولا يخالفه فى شىء من المخالفة .

هذا وقد كانت وفاة حماد الراوية سنة ١٥٥ هـ ، ووفاة المفضل الضبى سنة ١٦٨ هـ ، ووفاة أبى زيد القرشى صاحب الجمهرة سنة ١٧٠ هـ ، فنستطيع مع هذا أن نحكم بأن هذه القصائد السبع ما كانت تعرف باسم المعلقات إلى سنة ١٧٠ هـ ، وإنما كانت تسمى القصائد المشهورة أخذاً من قول حماد فيها بعد جمعها هذه هى القصائد المشهورة ، وكان يقال لها السموط كما كان يقال لبعض قصائد أخرى ، فلم يكن هذا اسماً خاصاً بها ، وقد سماها المفضل السبع الطوال فيما نقله أبو زيد فى الجمهرة عنه .

وقد نقبنا فى المقدمة التى ذكرها أبو زيد فى جمهرته قبل القصائد السابقة التى أوردها فيها ، فلم نجد فيها ما يمكن أن يؤخذ منه أن السبع الأولى منها كانت تسمى فى عصره باسم المعلقات . وكان الواجب على طابعى الجمهرة أن يلاحظوا ذلك فلا يضعوها تحت اسم المعلقات ، ولا يذكروا قصيدة امرىء القيس (قفا نبك) تحت اسم معلقة امرىء القيس ، ولا قصيدة زهير (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) تحت اسم معلقة زهير ، وهكذا فى باقى السبع ، وهو خطأ ظاهر ، وتسمية لهذه القصائد بما لم يسمها به صاحب الجمهرة . فان كان هذا فى الأصل الذى طبعوا منه فهو خطأ من ناسخه قطعاً . ولعلنا نظفر بعد هذا بأول من سماها باسم المعلقات فى الزمن الذى بين أبى زيد القرشى وأبى جعفر النحاس وهو الذى أورد فيه ما نقلناه عنه من ذلك الخلاف ؟

عبد المتعال الصعيدى

من طرائف الشعر

شوقيتان لم تنشرا

١ – قصيدة لم تتم للمرحوم شوقى بك فى (سعد) والثورة

يا شبابُ اقتدوا بشيخ المعالى ... فالمعالى تَشَبُّهٌ وتحدّى
هو لو لم يكن له من الفضل إلا ... هذه كان غايةَ الفضل عندى
قد تصدّى لنائبات حقوق ... غيرُ سهلٍ لمثلهن التصدّى
حزَنته بلادُه وهى صَيْدٌ ... بين نابَىْ مُظفَّر الناب وَرْد
أمّةٌ من غرائب النصر نَشْوَى ... تَسلبُ المُلْكَ مَنْ تشاء وتُسدى
أخرَسَتْ أفصحَ القياصر سيفاً ... بأساطيلَ فى الخصومة لُدِّ
جاءها سعد شاهرَ الحق يدعو ... سيفها المنتضَى لُخطَّة رُشد
أعزَلَ المنكبيْن إلا من الحق ... ومن حجة كنَصْل الفِرِنْد
خاطبَ النارَ وهى فى شَفَة المِدْ ... فع والسيفَ وهو فى غير غمد
غمرةٌ يُشفق الضياغمُ منها ... خاضها لم يَهَبْ عواقب وِرْد
فنَفَوْا فانثنى فصادف حظاً ... حبذا الجِدُّ إن أُعين بجَدّ
وإذا مصرُ كاللبوةِ غضبى ... لابنها تبذل الدماء وتفدى

. . . .

---

٢ – قصيدة أخرى للمرحوم لم تتم فى (موليير) الشاعر الفرنسى

... وإن (موليير) نجمٌ لا أفول له ... وإن تغيّب فى الأحقاب واحتجبا
شريعة من بيان الغرب صافية ... وإن يك الشرق أحياناً بها شربا
وآية الأدب الرومىّ فى لغة ... لم تخل من سرها عجماً ولا عربا
لو استطاع ذووها من عنايتهم ... بنشرها علّموها الجنّ والشهبا
فاحفظ لسانك واجهد فى صيانته ... كما يصون الكريمُ العرضَ والحسبا

***

كأنما كانت الدنيا على يده ... يصوّر الناس عنها كلما كتبا
إذا مضى يعرض الأخلاق عارية ... أراك من كل نفس صورةً عجبا
يأتى النفوس فينضو عن طبائعها ... ستراً ويهتك عن أهوائها الحجبا
فربما ازددتَ علماً بالبخيل وإن ... نشأت تلقاه جدّاً أو تراه أبا
وقد يزيدك بالكذّاب معرفةً ... وأنت تُضحى وتُمسِى تسمع الكذِبا
وقد يريك أخا الوجهين منكشفاً ... وأنت تلقاه فى الإخوان منتقبا

. . . .

ومن جيد ما نشره المرحوم من الشوقيات قوله يعتب على بنى وطنه اختلافهم وتنازعهم :

وأين الفوز لا مصر استقرت ... على حال ولا السودان داما
وأين ذهبتمو بالحق لما ... ركبتم فى قضيته الظلاما
لقد صارت لكم حكماً وغنماً ... وكان شعارها الموت الزؤاما
شببتم بينكم فى القطر ناراً ... على محتله كانت سلاما
إذا ما راضها بالعقل قوم ... أجدّ لها هوى قوم ضراما
تراميتم فقال الناس قوم ... الى الخذلان أمرهمو ترامى
وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء ... أحلوا غير مرماها السهاما

وقال يوجه الخطاب الى توت عنخ آمون عقب كشف قبره :

قل لى : أحين بدى الثرى ... لك هل جزعت على العرين ؟
آنست ملكا ليس بالشا ... كى السلاح ولا الحصين
البر مغلوب القنا ... والبحر مسلوب السفين
لما نظرت الى الديا ... ر صدفت بالقلب الحزين
لم تلق حولك غير (كر ... تر) والنطاسىّ المعين
أقبلت من حجب الجلا ... ل على قبيل معرضين
تاج الحضارة حين أشر ... ق لم يجدهم حافلين
والله يعلم لم يرو ... ه من قرون أربعين

حصن طارق

للأستاذ فخرى أبو السعود

...

أقام على شط الجزيرة مفرداً   ورانت عليه وحشة وسكون
على الصخرة الصماء يصخب دونه   من اليم لج زاخرٌ ومُتُون
مُضِبٌّ، يجيش الشرق والغرب حوله   صَمُوتٌ على كرِّ العصور مبين
به صَدْفةٌ عمَّا يرى فى زمانه   وفيه إلى ماضى الزمان حنين
تغيرتِ الدنيا، وبادَ قبيلُهُ   وغيَّرَهُ دهرٌ مضى وقُرُون
وقطَّبَ لمَّا أنكرَ العصرَ حوله   وسارت بما لا يشتهيه شؤون
وأنكرَ خيلاً حوله وأعاجماً   تقرُّ لهم تلك الرُّبى وتَدينُ
تَدينُ لرئبالٍ بكل مفازةٍ   له فى أقاصى العالمين عَرين

***

تعطَّلَ من بعد اعتصامٍ ومَنعة   أسيرٌ بأيدى الغالبين رهين
وكان يصون القومَ فارتدَّ أعزلاً   وأصبح حتى النفسَ ليس يصون
إذا لم تكن هِمّاتُ قومٍ حصونَهم   تداعتْ رواسٍ دونهم وحصون

***

حوتْ من تلاد المجد صخرةُ طارقٍ   على الدهر مالا يحتويه رَقينُ
تعالتْ بها، اللهُ أكبرُ، مرّةً   فمادتْ سهولٌ دونها وحُزُون
وسالتْ شعابٌ بالصوارم والقنا   وأحرق خلف الفاتحين سفين
وقامتْ بأطراف الجزيرة دولةٌ   وأزهرَ عرفانٌ وأشرق دين
جلا أمسِ عنها آلُها، وبنوهمُ   على الضفةِ الأُخرى الغداةَ قطين (١)
فمَنْ لى بمن يُنبى الجدودَ بأننا   وقد عزَّ عُبدانُ الجدودِ نهون؟
وأنَّا إذا اعتمنا رُسومَ علاهم   تناهبتِ القلبَ الحسيرَ شجون
خشعتُ وعادتنى لدى حصن طارقٍ   همومىَ وابتلَّتْ لديه جفونُ
لشعبٍ يُسيغُ الذلَّ من بعد ما سما   له فى الورى مُلكٌ أشمُّ مكين

القاهرة   فخرى أبو السعود

(١) قطين: عبيد.

الوحيد المريض

للأستاذ محمد خورشيد

...

سالَ ذَوْبُ الفؤاد فى أنَّاتِهْ   وتلاشى بُكاهُ فى آهاتِهْ
ساكنُ الطَّرفِ لا يرفُّ لهُ جَفنٌ   ولا يعزفُ الضَّنَى عن أذاتِهْ
واجفُ الصدرِ، شاحبُ الوجه خطَّتْ   نفثاتُ الأسى على قسماتِهْ
كادت الروح تستحيل أريجًا   تتملَّى الجِنانُ من نفحاتِهْ
وظلامُ المنون مَدَّ رواقيْهِ   ليطوِى فى الليلِ فجرَ حياتِهْ
وأبُوهُ المرورُ ضمَّ إلى الصد   رِ فتاهُ ليفتديهِ بذاتِهْ
حابسًا ما استطاعَ أنفاسَ صدرٍ   شَبَّ جمرُ اللأواءِ فى جنباتِهْ
ولو اسطاعَ أسكتَ القلبَ حتى   لا يَضِجَّ الصغيرُ من خفقاتِهْ
كلما أرسل ابنه زفراتٍ   كاللظى خالهَا صدى زفراتِهْ
كلما أسبل الدموعَ فتاهُ   كاللآلى تَشِفُّ عن حسراتِهْ
ظنَّ وجهَ الفطيمِ أصبحَ مرآ   ةً أرتهُ المدرارَ من عبراتِهْ

***

باتَ قلبى طىَّ الضلوعِ سجلاً   لجنَانِ الوحيدِ فى نبضاتِهْ
إن هفا مسرعًا حكاه ابنُ جَنْبى   أو تأنَّى شاكلتُهُ فى أناتِهْ
وضميرى ناجَى الحبيبَ فأصغى   وهو رهنُ الضَّنَى الى همساتِهْ
قد حُرمتُ السُّبات والدَّاءُ يقظ   انُ يُوالى مُسدَّداً رمياتِهْ

***

حارَ إذا عادنا الطبيبُ ولمَّا   يدرِ أيًّا يَطبُّهُ بأداتِهْ
أ(نزاراً) وقد ذوتْ مقلتاهُ   أم أباهُ والرُّوحُ قُربَ لهاتِهْ
إن سُقمَ الأبناءِ أقسمَ إلاَّ   أن يكونَ الآباءُ مرمى رُماتِهْ

***

يا رسولَ الردى أمانًا فهذا   قد عقدنا المُنَى على بسماتِهْ
إن أردتَ الفداءَ دونكَ روحى   تلكَ عند الشبابِ أغلى هِباتِهْ
يَرِثُ التاجَ أولياءُ العهودِ الصِّيدُ   والمجدُ موقعٌ نغماتِهْ
فاعفُ عنى، ولىَّ عهدى، لأنى   خِفتُ دهرى فكنتُ من أقواتِهْ
لم أُورِّثكَ غيرَ شعرٍ شجىٍّ   سال ماءُ الفؤاد من أبياتِهْ

***

أصبحَ البؤسُ توأمَ الشعرِ عندى   يزدهينى بندبهِ وشكاتِهْ
إنَّ وحىَ الأسى المروَّعِ يحبو الشاعرَ الفذَّ مُجتَبى خطراتِهْ

القدس   محمد خورشيد

توماس كارليل

Thomas Carlyle

١٧٩٥ — ١٨٨١ م

بقلم عبد الكريم الناصرى

— ١ —

« العبقرية الحق ، هى التى تعمل ولاتشبع ، وتجد فى الألم لذة ، وفى الموت من أجل العمل حياة ، ولاتحسب يوماً أنها وجدت ماتنشده وتصبو إليه ! . . »

« العبقرية الحق ، هى التى تخلق وتنشىء ، وتنظر دائماً إلى الممكن والى المستقبل ؛ هى باذرة بذور الخير والحب والطيبة والجمال فى الوجود ، والطامحة دائماً الى الأحسن ، والآخذة بالناس من الظلمات إلى النور ، ومن العبودية الى الحرية . ويخلد العبقرى بقدر ماتترك رسالته من أثر على وجه البسيطة ؛ فكلما كانت رسالة العبقرى إنسانية ، كان الأعجاب بها شديداً والثناء عليها قوياً . »

***

ولد توماس كارليل فى قرية « اكلفكان » ـ بأقليم أناندال ـ بجنوبى اسكوتلندة ، فى تشرين سنة ١٧٩٥ . وكان أبوه بنّاء ، وهو الذى بنى البيت الذى ولد فيه ابنه ؛ وكان صلب الرأى ، ميّالاً الى الجدّ والعمل . أمّا أمّه فكانت امرأة صالحة حنوناً طيبة القلب . أدخله والده — أوّل الأمر — فى مدرسة القرية ، فتلقى فيها مبادىء العلوم ، ثم فى مدرسة قرية « أنان » . ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره دخل جامعة ادنبرج . وفى سنة ١٨١٤ عيّن مدرساً للرياضة بمدرسة أنان ، وكان قد بلغ التاسعة عشرة من عمره . ولم تمض عليه ثلاث سنوات حتى صار رئيس مدرسة بلدة « كركالدى » .

وفى سنة ١٨١٨ ترك حرفة التعليم متبرّماً بها ، ساخطاً على المنتسبين إليها ؛ وذهب الى ادنبرج باحثاً عن عمل يعيش منه ؛ ودرس هناك علم المعادن الذى أفاده فائدة كبيرة ، إذ اضطره الى تعلم الألمانية « التى كانت من أسباب ظهوره ورفعته . » مع أنه كان يمقته مقتاً شديداً . وكان يتقن الفرنسية أيضاً ويترجم عنها مقالات علمية فيتكسب من ذلك . . .

— ٢ —

. . . اجتمعت فى كارليل صفات أبيه وأمّه . ورث عن أبيه صلابة الرأى ، ومضاء العزم ، وخصب الخيال ، وقوّة التصوّر ؛ وورث عن أمّه دماثة الخلق ، وسلامة النيّة ، وطيبة القلب ، وكثرة الحنان ، وخفة الظلّ .

وفيه أيضاً اجتمع هدوء الانجليزى ووطنيته الصادقة ، واعتزاز الألمانى بقوميته ، واعتداده بنفسه واستبداده برأيه ، وفكاهة الفرنسى ومزاحه .

كان فيلسوفاً نابغة ، ومؤرخاً مدققاً ، وناقداً صائب الرأى قويّ الحجة ساطع البرهان ، وكاتباً بليغاً ساحر البيان ، عجيب التصوّر للحقائق ، مدهشاً فى عرضها على قارئه أو سامعه واضحة جلية ، وكان خياله يشبه النافورة التى يتدفق ماؤها فيسقى هيا كل الأبطال القدماء العظمية ، ويحيلها إلى أناسيّ مثلنا يتحركون ويضطربون ! . . .

كان فى كتاباته جادّاً وهازلاً ، مكتئباً وضاحكاً ، تلمح من خلال سطور كتاباته نفساً هادئة ، مؤمنة ، قنوعاً ، ولكنك تجده أحياناً ليثاً كاسراً ، غضوباً متمرداً . . . وكان متبرّماً بالوظائف والحرف المقيدّة لحريته ، ولما ترك مهنة التعليم صاح محتداً ساخطاً : « لاطاقه لى بعد بهذه الحرفة الممقوتة ! . . . »

وأرى أنه كان فى آرائه وأقواله قومياً ومتعصباً أحياناً ، وإنسانياً أحياناً أخرى . يتعصب حين يحدثك عن « كرومويل » أو عن فريدريك الكبير ملك بروسيا ، فيغرق فى مدحهما والاشادة بذكرهما ، ويحملك على تصديق أقواله بسحر بيانه وقوة برهانه ، لأن الأول انجليزى ، والثانى بروسى ، وكان كارليل حريصاً على إرضاء البروسيين . ويقول الكاتب والناقد الانجليزى ج . ك . تشسترتون : « لقد سلط كارليل تيار خياله القويّ المتدفق على شخصية هى كالجمجمة جفافاً ويبوسة وصلابة (أى فردريك) ، وسكب عبقريته الخلاّقة المبدعة ليخلق من أسفل وأدنأ وأوحش شخصيّة عرفها التاريخ انساناً شهماً ، كريماً ، عظيما ! . »

وهو انسانيّ حين يحدثك عن محمد (ص) والاسلام مثلاً ، فيقول : « لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى مايظن من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوّر ؛ وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فان الرسالة التى أداها ذلك الرسول

ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مليون من الناس . » أو حين يقول : « ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هى شهاب قد أضاء العالم أجمع » ...

وقد قال « ريتشارد جازبيت » : « فلما كتب كارليل مقالته عن الاسلام ينافح فيها عن محمد ويناضل عن دينه ، لم يبق هجّاء أطلق يده فى عرض محمد (عليه السلام) إلا قبضها مجذومة شلاء ، ولا خاش يدّرى ذلك الأديم الأملس ، وتلك الصحيفة البيضاء ، بسهام السباب الا وردّت سهامه فى نحره حتى راح شرف النبىّ فى تلك الديار بفضل الفيلسوف الأكبر صحيح الأديم موفور الجانب ... »(١)

ومن هنا ترى أن الرجل كان يعتمد على ذكائه وصفاء ذهنه واستقامة منطقه القوىّ ، وبلاغته وخياله أيضاً ، فى حمل الناس على اعتناق مذاهبه ، والأخذ بآرائه ، والايمان بمعتقداته ، وقد نجح فى ذلك نجاحا عظيما ، وفاز فوز جبار ! . .

— ٣ —

وقد أحبّ ذلك الفيلسوف فتاة جميلة تدعى « مرغريت جوردون » ، وقد ابتدأ ذلك الحب حين صار رئيس المدرسة التى ذكرناها ببلدة كركالدى . ووصفها فى كتابه « فلسفة الملابس » .

وكان كارليل « يعبد الجمال ويكبر مَلِكات العالم (أى النساء) ويقدسهن ، ويرى لهن جلالاً إلـهياً ! » ولـكن حظه منهنّ « لم يكن إلا حظ اللمس من الخيال ، والغليل من الآل ! »

لقد كان حبه عنيفاً جداً لمرغريت ، ولا تكاد تقرأ بضع صفحات — بل بضعة أسطر — من كتابه فلسفة الملابس ، حين يصفها ، إلا وتؤمن أنه لم يكن هوى أو حباً ، بل لاعجاً محرقاً ، بل هياما جنونياً ، ولـكن العبقرى المسكين أخفق فى ذلك الحب ولم يتزوج من بلومين (كما يسميها فى ذلك الـكتاب) لتعرّض أصدقائها . . .

اسمعه يقول باكيا(٢) . . . « فـكنّ للفتى (أى كارليل) كأنهن من الهواء مخلوقات ، ومن الضياء مصوغات ، أرواح فى أشباح ، وأذهان فى ألوان . . .

وكأنهنّ ملائكة تحمل كل منهن معراجاً يرتقى فيه العاشق الى مقامات الأبرار فى الجنان ، فليت شعرى هل قضى الله للفتى المنفرد (يعنى نفسه) أن يظفر يوما ما بأحدى هذه الملكات ؟ بل أين منه ذلك ، هيهات هيهات ! ! »

« أما والذى خلق الهوى وجعله جنة المحب وجحيمه . لئن قضى الله للفتى أن تهبط عليه واحدةٌ من تلك الخيالات المليحة ، فتتحول له جسماً حياً ملموساً ، وحقيقة محسة ، ثم تلحظه بنظرة انعطاف وتودد ، وتقول له بعينيها : (لك الآن أن تُحِب وتُحَب !) إذن فأى بركان هائج يثور ، وأى جحيم كامن يجيش ويفور !!.. »

« وقد اشتعل مثل هذا الحريق يوما ما فى فؤاد الفتى المنفرد اشتعالاً بركانياً ؛ وكيف يكون الأمر غير ذلك والفتى مزاج رقيق ، وطبع سريع الهياج — فيه « كاربون » الحدة ، و « فوسفور » الشهوة ، و « كبريت » الأنفعال — تنتظر أدنى شرارة من لحاظ دعجاء المحاجر ، قتالة الألحاظ ، فتتأجج وتشتعل ؛ وما شرار اللحظ فى هذا العالم بالشىء المفقود ؛ فليت شعرى اذا هبطت عليه من آفاق العزة مليحة حسناء ، فرمت « كبريته » بشرارة من لحظها ماذا يكون المآل ؟ ! . . . . . . »

واسمعه يخاطب فتاته المحبوبة : « وما هى إلا هنيهة حتى قُرِّب الى الغادة وقُدِّم لها ! يارعاك الله أيتها الآنسة ! إنك لتشرقين بين أترابك من الفتيات ، وتبهرين صواحبك من الغانيات ؛ كأنك الـكوكب الدرىّ هبط من السماء فتوسّط طائفة من المصابيح والشموع ! يا أشرف الفتيات ! وسيدة النساء ! بامن سبيت الخامل المسكين فتهافت عليك بدناً وروحاً ؛ وهو مع ذلك منكس الجيد فى حضرتك ، من فرط هيبتك ، خاشع الطرف ، تعروه لذة أليمة ، وتعلوه حيرة لذيذة ! ! أحقاً أصبح الفتى المسكين يشهد مجلسك ويجتلى نور طلعتك ، وبهاء غرتك ، وحقاً تشرق عليه أشعة لحاظك ! ؟ وحقاً يتكلم فتنصتين ، ويقول فتسمعين ، ويمزح فتضحكين ، ويعظ فترقين ، ويشكو فتتوجعين ؛ وحقاً كان الحب متبادلاً ، والغرام متداولاً ، والعطف متقارضاً ، والودّ متقابضاً ، والقطبان يخفقان للالتصاق ، ويرجفان للاعتناق ، ؟ ! ! وقلب العاشق المسكين يجيش ويثور كالبحر يزخر ويعبّ فى حضرة القمر ! ؟ بلى ! حقاً كان كل ذلك » .

البصرة

عبد الكريم الناصرى

---

(١) ترجمة معرب « الأبطال » .

(٢) الفقرة التالية من ترجمة معرب الأبطال أيضاً . ولم أشأ أن أترجمها أنا لأنه أقدر وأفضل منى فى ذلك .

العلوم

٤ - بحث فى أصل الانسان

بقلم نعيم على راغب
دبلوم عال فى الجغرافية

بدراسة الجمجمة التى وجدت فى جزيرة جاوة ، إحدى جزائر الهند الشرقية ، وجد أنها تشبه جمجمة نوع من أنواع القردة ، وهو المسمى جيبون Gibbon ، وهذا القرد معروف أن نسبة مقاس جمجمته تتناسب تناسباً اطرادياً مع ارتفاعه وحجم جسمه . بمعنى أن مقاس كذا هو لقرد ارتفاعه كذا . . الخ

فاذا نحن طبقنا هذه القاعدة على تلك الجمجمة التى وجدت خرجنا منها بنتيجة ، هى أن ذلك المخلوق الذى تخلفت عنه هذه الجمجمة لابد وأن يكون فى ارتفاع قامة الانسان ، على عكس قردة ذلك النوع المشار اليه فانها لا تتعدى فى القامة قامة ابن خمس سنوات من الأطفال .

وإذا لاحظنا أن سطح الجمجمة وعظام محاجر العين وشكلها تعين عدم وجود جبهة لصاحب تلك الجمجمة ، نجد لزاماً علينا من ذلك ومن نتائج أبحاث العلماء أن نقول إن هذا الذى يمثل إنسان البليوسين كان عبارة عن قرد كبير ، وتبين لنا بعد ذلك من قياس تلك الجمجمة أننا لم نكشف عن الانسان القرد فحسب ، بل كشفنا عن أحط درجة من درجات التطور الانسانى ، واذا كان للانسان صفات تميزه وتختص بها عن سائر أنواع الحيوان ، فانما هى ذكاؤه وقابليته للتعلم ، ثم حدة الشعور ، وهذه كلها تأتى من المخ مصدر الشعور والوجدان .

وإن قصة تدرج الانسان ما هى إلا تاريخ لتطور قواه العقلية . فعند ما كشف الأمر عن جمجمة انسان النياندرتال عام ١٨٥٧ ، قال بعض من العلماء إنها بجمجمة القرد أشبه منها بجمجمة الانسان . لماذا ؟ لأنه لوحظ بها البروز الكبير الظاهر فى محاجر العين ، وهو ما تمتاز به أنواع الغوريلا ، كذلك لاحظ أن غطاء الجمجمة الأعلى واطئ منخفض ومفرطح . لكن الكشف الذى تلا ذلك دلنا على المقدرة والقوة الفكرية عند هذا النوع من الانسان ، وهو انسان النياندرتال . وأنها قد تفوق كثيراً من الاجناس البشرية فى القدرة والمهارة والدقة

والجمال فى صناعة الأدوات الصخرية النارية .

ولم يجد الدكتور Dubois أى أثر فى طبقة الأرض التى وجد بين ثناياها الانسان القرد ، وليس هناك ما قد يلقى لنا ضوءاً على مقدار ذكاء هذا النوع وقدرته ، إلا أنه يمكننا أن نتكهن بشىء من ذلك من حجم فراغ جمجمته التى استطاع الدكتور دبوا أن يصورها لنا .

فأما من جهة حجم المخ فان الانسان القرد أو انسان جاوة (كما سنسميه) يقع تحت أسفل درجة من درجات المخ الانسانى . فالأبورجونيز سكان استراليا يتراوح حجم مخ الفرد فيهم من ١٣٠٠ إلى ١٤٠٠ سم مكعب ، ولو أن هذه النسبة تقل فى نسائهم فتصل إلى ١٠٠٠ سم مكعب أو إلى ٩٣٠ سم (كما يبالغ السير وليام تيرنر) ولكى نقول إن الرجل أو المرأة يفكر أو يستطيع التفكير يلزمه مخ لا يقل عن ٩٥٠ سم مكعباً ، ولكن أبحاث الدكتور ديبوا دلت على أن حجم مخ انسان جاوة لم يتجاوز مقدار ٩٠٠ سم مكعب ، برغم أن الأستاذ ج . ه . ماك جريجورى يرتفع به إلى ٩٤٠ سم مكعباً . وهكذا نرى أن الانسان المذكور لم يكن ليستطيع التفكير الصحيح كما نراه أو كما نعقله ، إلا أنه قد اقترب وصار على عتبة باب الانسان الحق بتفكيره وقوته العقلية .

وإذا قارنا إنسان جاوة بالغوريلا وجدنا أن حجم مخ الذكر من هذه القردة يبلغ فى المتوسط ٥٢٠ سم مكعباً ، ولو أنه قد يرتفع إلى ٦٥٠ سم مكعباً أو ينخفض إلى ٤٧٠ سم بينما نجده يرتفع إلى ستة أمثاله عن حجم مخ هذه القردة برغم التشابه العظيم بين شكل سقف جمجمة إنسان جاوة وقرد الجيبون .

إلا أن هذا النوع الانسانى وهو إنسان جاوة إذا قورن بالانسان الأوروبى الحديث وجد بينهما فرق كبير جداً . إذ أن الأخير يزيد فى حجم المخ على الأول بما لا يقل عن ٥٦٠ سم مكعباً إذا ما قدرنا للأخير متوسطاً قدره ١٥٠٠ سم مكعب .

أما عن حجم مخ إنسان البليوسين فانه يرتفع كثيراً عن مستوى أكبر أنواع القردة المعروفة ، ويصل إلى أسفل درجات الانسانية ، ونصل إلى نفس النتيجة إذا ما قارنا بين مخ إنسان جاوة والغوريلا ، أو مخ امرأة الأبور جينز الأسترالية . وبفحص مخ قرد من القردة لوحظ أن الطبقة الظاهرية منه وهى التى تتصل بالقدرة على السمع والأبصار والحس كاملة التكوين ، وأن الطبقة الظاهرية التى تليها وهى التى تتصل بالقدرة على الفهم والتذكر تكاد تكون معدومة التكوين ، بينما نجد أنها فى إنسان جاوة برغم تناسب أجزائها واتساعها لا تتصل إلى تلك التى توجد عند أحط وأسفل الأنواع البشرية المعروفة التى تعيش على سطح الأرض فى عصرنا هذا . ولذلك أمكننا بفضل اكتشاف الدكتور العلامة ديبوا أن نعرف الماهية التفكيرية والمقدرة العقلية التى كان يتمتع بها ذلك الجنس الذى عاش فى عصر البليوسين .

ونحن لا يمكننا مع ذلك كله أن نقرر ما إذا كانت عنده القدرة على التخاطب والكلام . إلا أنه قد أمكننا أن نعرف من تلافيف المخ عند الانسان المعروف بانسان جاوة مقدار ما كان له من استعداد لذلك ، وما قد وجد عنده من عوامل تساعده عليه ، ومن المحتمل أنه قد تكلم وتفاهم ، ثم عبر عما يجول بخاطره بعبارات

صوتية غير منتظمة تعبر عن رغبة أو شعور ، ولكنها لم تكن لتعبر عن فهم . ويمكننا أن نقارن بين قدرتهم على الكلام وقدرتهم على صناعة الأدوات والمرافق بما نسمعه من لغات اليوم وما نراه بين أيدينا من مرافق وأدوات كادت أن تبلغ حد الكمال .

ونحن إذا اعتبرنا أن إنسان جاوة بالقوى العقلية التي سبق الكلام عنها وشرحناها في الفقرات السابقة ، هو الحد الذي وصل اليه الانسان في أواخر عصر البليوسين ، وأن إنسان البلتدون هو مثل لما قد وصل اليه الانسان في أوائل عصر البلستوسين ، لوجب علينا أن نعترف أن هناك فترة تقع بين العهدين يمكن أن نطلق عليها فترة التطور العقلي للانسان القديم . لأننا نعرف أن حجم مخ انسان البلتدون الذي وصل الى ١٤٠٠ سم مكعب يتناسب مع حجم مخ الانسان الحديث ، ويقترب به الى الانسانية الحق . بينما نجد أن إنسان جاوة بمخه الذي يمكننا أن نقدر حجمه بمقدار ٩٤٠ سم مكعباً ينزل الى أسفل الدرجات ، ولا يصل الى أحط نوع من الأنواع البشرية المعروفة ، وأن تلافيف المخ في انسان البلتدون ، ولو أنها لا تصل الى ما نراه من تلافيف مخ الأنواع المنحطة من الأنواع الحديثة ، إلا أنها تفوق وترتفع كثيراً عن مستواها عند انسان جاوة .

وإذا كنا قد أوضحنا في مقالاتنا السابقة مدى أهمية فحص العلماء لمخ الانسان وما كشفه لهم حجمه من حيث تاريخ تطوره ، فيجب ألا ننسى أهمية فحصهم لأسنانه وما كشفت عنه الحفريات . فانه قد لوحظ أن أسنان القرد كانت أسناناً انسانية لا تختلف في شيء عن أسنان الانسان الحاضر الا من حيث كبر الحجم . ولابد لنا أن نذكر مما قد سبق ذكره ، أن إنسان البلتدون قد امتاز بأنياب حادة مدببة ، لا تختلف في شيء عن أنياب القردة ، بينما نجد أنها تصغر عند انسان جاوة ، وتتناسب مع باقي أسنان الفم كما هو الحال في انسان هيدلبرج وجميع الأنواع الانسانية الأخرى . فهل يمكننا القول أن أسنان الانسان بعد أن تعدل شكلها في عصر البليوسين قد رجعت فزادت حجماً في عصر البلستوسين ، كي تنكمش بعد ذلك وتتناسب باقي نظام أسنان الفم في النهاية ؟ ... وهذا ستجد له شرحاً وافياً في مقال قادم . وفي الوقت نفسه لا يمكننا شرح كل هذه الغرائب إلا إذا اعتبرنا أن الانسان القرد وانسان الهوموهيدلبورجنيز يمثل كل منها فرعاً من أصل الشجرة التي نشأ وتطور منها الانسان ، والتي لم تكتشف من فروعها إلا أغصان قليلة محطمة ...

(يتبع)

نعيم على راغب
دبلوم المعلمين العليا قسم الجغرافيا

البريد الأدبي

القصة فى الأدب الصينى

تناولت مجلة الأخبار الأدبية (نوفيل لترير) فى عددها الأخير ذكر كتاب صدر أخيراً فى باريس بالفرنسية عن « القصة الصينية » بقلم كاتب صينى هو مسيو « أو اتاى » . والقصة الصينية حديثة النشأة ؛ وكانت القصة حتى عصرنا تعتبر فى الأوساط الأدبية الصينية ضربا من العبث ؛ وكان التاريخ والشعر والفلسفة وحدها تعتبر خليقة بجهود العلماء وذوى الذوق الحسن . أما كتابة الحوادث والمغامرات الخيالية ، فقد كانت تعتبر خفة لاتليق برزانة العلم والأدب ، وكانت تترك لصغار الكتاب والمتأدبين . أما اليوم فان الأدب الصينى يقتفى أثر الآداب الغربية فى تقدير القصة ويتجه إليها ، ويخرج فى ميدانها آثاراً شائقة جديرة بالاهتمام .

على أن ما أخرج الأدب الصينى فى ميدان القصة فى القرن الماضى ليس مما يخلق إغفاله والحط من شأنه . صحيح انه لم يصل فى السعة والتنوع إلى ما وصل إليه القصص الغربى ، ولكنا نستطيع أن نحصى منه مع ذلك كثيراً من الآثار الشائقة الجميلة . وقدظهرت بعض هذه الآثار فى أوربا مترجمة إلى الألمانية والفرنسية والانكليزية ، فاستطاع العالم الغربى أن يقف على صفوة الأدب القصصى الصينى . .

ويقول مسيو « أو اتاى » فى مقدمته إن القصة الصينية ترجع فى أصلها الى الحكايات والأساطير الدينية . فى العصور الغابرة كان الشعب يشهد ظواهر الطبيعة الخارقة فلايستطيع أن يدرك كنهها ويعتقد أنها فوق مقدرة البشر ، ثم يحاول أن يفسرها ويفهمها فى شروح وأقوال غدت أصل الأساطير الصينية ، ومن ثم تجىء أهمية عنصر السحر فى القصة الصينية . وقصص السحر هى أقدم وأغرب ما فى الأدب الصينى من عنصر القصص ، ثم تجىء بعد ذلك القصة التاريخية أو التى تقوم على بعض حوادث التاريخ ، ثم القصة العاطفية ، ثم القصص الاباحى ؛ وقد كان هذا النوع مما يطارد ويحرق ، ولكن نجا منه الكثير .

ومن أحب القصص إلى الذوق الصينى ، ذلك الذى يعالج « المعرفة » وتعرض فيه المعلومات والمعارف الغربية ، فى صور قوية واضحة من البيان والعبارات الرشيقة . وللقصص الساخرة مكانة أيضاً ، ولكن معظمها سياسى ، ويرمى إلى بث دعوة معينة. أما قصص المغامرات الشائقة والحب والبطولة فقد ظهرت حديثاً ولم تتقدم إلا فى القرن التاسع عشر ؛ ومنها آثار خطيرة فياضة بالمخاطرات والعجائب .

وقد كان هذا التراث كله مغموراً حتى هذا العصر ، ولكن الجيل الفتى يقبل عليه اليوم ويستكشفه ، ويتذوق ما فيه من كنوز الطرافة والخيال والجمال . بل لقد أنشئت فى الجامعات الصينية دراسات للقصص القديم ، وهو ما لم يكن يتصور منذ خمسين عاماً .

أزمة الأدب

يظهر أن أزمة القراءة والكتب أخذت تشغل الأذهان فى جميع الأمم المتمدنة ؛ فقد ضعفت حركة القراءة وركدت ريح الأدب والكتب فى الأعوام الأخيرة بدرجة محسوسة . وكان للراديو والسينما أثر كبير فى ذلك التطور . وقد رأت الحكومة الايطالية أن تعالج هذه الأزمة بالدعوة الى القراءة عن طريق الراديو وإثارة الاهتمام بالآداب الايطالية القديمة . ونشرت إحدى الصحف الأدبية الفرنسية فصلاً فى ذلك الموضوع نوهت فيه بانحلال الذوق الأدبى ، وانشغال الهيئات العلمية والأدبية بتنظيم الحفلات وتوزيع الجوائز ، وإغفال الحكومة لكل ما يذكى شغف القراءة ويصقل الذوق الأدبى ، حتى انها لم تفكر يوماً فى أن تنشئ « وزارة للآداب » تقوم بالاشراف على الحركة العقلية ، مع أنها تقوم بالاشراف على ادارة الشرطة وإدارة الجمارك . وتخلى الحكومة

عن هذه المهمة يحول دون القيام بأى حركة منظمة لتوجيه الحركة الأدبية ، واحياء الذوق الأدبى بعد أن تولاه الذبول والضعف .
ويرى الكاتب أن تنظيم « المكتبة » من أنجع الوسائل لمعالجة هذا المشكل ، ويقترح أن تعنى ادارة معرض باريس الكبير الذى سيقام فى سنة ١٩٣٧ ، بانشاء مكتبة نموذجية يكون فيها من الطرافة وحسن الابتكار والتنسيق مايذكى شغف القراءة ويبعث إلى الذوق الأدبى حياة جديدة

حرارة الأزهار

تذكر أن العلامة الهندى جاجاديس بوز صاحب نظرية « حس النبات » زار القاهرة منذ بضعة أعوام ، وعرض تجاربه العلمية النباتية على جمهرة العلماء والمثقفين ؛ ورأى النظارة الذين شهدوا تجاربه كيف يرتجف النبات ويتأثر بمختلف العوامل ، والآن يتقدم العلامة الفرنسى بلارنجم ، الذى قضى حياته فى دراسة خواص النبات الى أكاديمية العلوم الفرنسية بنتيجة مباحثه عن « حرارة الأزهار » .

ويرى العلامة بلارنجم أن الأزهار كالانسان والحيوان ، يمكن أن تصاب بالحمى ، وأن حرارتها تختلف باختلاف درجة نموها وباختلاف الوقت . فمثلا يبدى معظم الأزهار حرارة أعلى من حرارة محيطها ببضع درجات ، وتبلغ بعض الأزهار أقصى درجة حرارتها بين الساعة العاشرة والظهر . ولبعض الأزهار مثل النرجس واليقطين والهندباء أوقات تصاب فيها بالحمى ، ويلاحظ مسيو بلارنجم أيضاً ، أن الأزهار المذكرة فى النباتات المزدوجة ، أى التى تحمل أزهارها المذكرة وأزهارها المؤنثة كل على أعواد مختلفة ، وفى النباتات الفردة ، أى التى تحمل أزهارها مختلطة على نفس العود أكثر حرارة من الأزهار المؤنثة فى نفس الشجرة . وهنالك أيضاً أزهار تختلف درجة الحرارة فيها باختلاف مواضعها ؛ وغير ذلك من المشاهدات والحقائق المدهشة .

فلوبير والمسرح

لما وضع القصصى الفرنسى الكبير فلوبير قصته الشهيرة « مدام بوفارى » فكر أحد كتاب المسرح فى اقتباسها وتقديمها للتمثيل ، ونفذ فكرته بالفعل ، وقدم الرواية الى المسرح ، وأرسل الى فلوبير يستأذنه ، فأبى بشدة أن يأذن له ، وكان فلوبير قد عاف المسرح وحقد عليه ، مذ فشلت قصته « الطالب » حين مثلت لأول مرة . واستمر فلوبير يعارض كل اقتراح بتمثيل « مدام بوفارى » حتى وفاته .

ولكن حدث بعد وفاته ، أن ابنة أخيه ووارثته مدام جرول صرحت لأحد كتاب المسرح باقتباس بعض المناظر من مدام بوفارى لكى تمثل على المسرح ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ . ولكن القطعة لم تشتهر يومئذ ، ولم تلق نجاحا يلفت الأنظار .

ومنذ أشهر قلائل عادت « مدام بوفارى » تلفت أقطاب السينما ، وانتهى الأمر باقتباسها للشاشة البيضاء ، وتلحينها للسينما الناطقة . ولن تمضى أشهر أخرى حتى يستطيع المعجبون بأدب فلوبير أن يشهدوا أعظم قصصه ، وقد أخرجت فى ثوب مسرحى بعد كتابتها بنحو تسعين عاماً .

ويقال أيضاً إن قصة فلوبير التاريخية « سلامبو » ستظهر قريباً على المسرح السينمائى ، وأن العمل يجرى بالفعل لاخراجها فى وقت قريب .

أمير شرقى شاعر

فى البريد الانجليزى الأخير أن صاحب السمو نظام حيدرأباد عميد الأمراء المستقلين فى الهند ، وأعظم رجالات المسلمين فيها ينظم الشعر ويجيده . وعما قريب يصدر فى الهند الجزء الأول من ديوان سموه ، وفيه قصيدة مطولة فى مولد المسيح .

المستشرق شخت

وصل إلى القاهرة الأستاذ شخت ليشغل كرسى أستاذ فقه اللغة واللغات السامية بكلية الآداب بالجامعة المصرية خلفا للأستاذ شاده الذى انتهى عقده وعاد إلى جامعة همبرج .

والأستاذ شخت أحد تلاميذ المستشرق الكبير المرحوم برجستراسر وقد درس اللغة العربية بجامعة برسلاو وعين مدرساً فى جامعة فريبرج فأستاذاً بجامعة كونسبرج ، ثم وقع اختيار الجامعة المصرية عليه ليشغل كرسى اللغات السامية .

وقد طاف الأستاذ شخت بلاد الشرق فى طلب المخطوطات المجهولة فتمكن من العثور على عشرات الكتب فى تاريخ العلوم الاسلامية ونشرها بعد أن ترجم بعضها إلى اللغة الألمانية منها :

١ – رسالته فى كتاب الحيل والمخارج للخصاف وقد حصل بها على دكتوراه من جامعة برسلاو فى عام ١٩٢٥ .

٢ – ترجمة وشرح كتاب الحيل فى الفقه للقزوينى والمقارنة بينه وبين الحيل الحنفية .

٣ – المخارج للامام محمد بن الحسن الحنفى .

٤ – كتاب الشروط للطحاوى .

٥ – كتاب جالينوس فى الأسماء الطبية وقد اشترك مع الدكتور ماكس مايرهوف فى ترجمته وشرحه وتقديمه .

٦ – كتاب بالألمانية عنوانه : مجموعة متون إسلامية . وفى هذا الكتاب جمع كثيراً من تاريخ العلوم الاسلامية . مبتدئاً بالأحاديث النبوية ومنتهيا برسالة التوحيد للشيخ محمد عبده

٧ – كتاب ملتقى الابحر للشيخ ابراهيم الحلبى ، وقد كان أصل هذا الكتاب عند المستشرق المرحوم برجستراسر ولم يتم شرحه وتقديمه .

٨ – أخبار القضاة لوقيع .

جورج دوهامل مرشح الأكاديمية

منذ أشهر خلا بالأكاديمية الفرنسية كرسى بوفاة صاحبه المسيو كاميل جوليان المؤرخ الكبير . وقد تقدم للحلول فى كرسيه عدة من مشاهير العلماء مثل الأستاذ شارليتى مدير جامعة باريس ، ومسيو ركولى المؤرخ ، ومسيو ليون بيرار الكاتب الشهير ، ولكن أحداً منهم لم يظفر بالعدد اللازم من الأصوات . وسيعاد الانتخاب مرة أخرى . وفى هذه المرة يطرح مع المتنافسين اسم جورج دوهامل الكاتب والروائى الشهير ، وقد رشح نفسه للكرسى الخالى بصفة رسمية .

وجورج دوهامل طبيب سابق حمله تيار الأدب وصرفه عن المهنة ؛ واشتهر برقة خياله وسحر أسلوبه وبراعة نقده . ويمتاز أسلوبه بالأخص بنزعة إنسانية مؤثرة ، وعطف عميق على المنكوبين فى الحياة . وتدور معظم نظرياته وفلسفته حول الدفاع عن الانسان ، ورفعة الفرد والأخلاق .

بنت مدام كورى تتابع أعمال أمها

– قالت « البتى جورنال » أن ابنة مدام كورى مكتشفة الراديوم وزوجها سيذيعان قريباً الطريقة المطلوبة منذ عهد طويل لأيجاد الراديوم الاصطناعى

وسيعلنان هذه الطريقة لمؤتمر من العلماء فى لندن وكمبريدج بين اليوم الأول واليوم السادس من شهر أكتوبر .

اسبانيا ترشح شاعرا لجائزة نوبل

اقترحت جامعة سلامنكا الاسبانية على الحكومة ترشيح العالم الشاعر ميجل دى أونا مونو لجائزة نوبل للآداب فى العام الحاضر . فقبلت الحكومة اقتراحها .

النقد

أصدقائي الشعراء!
هذا لا يؤدى

بقلم معاوية محمد نور

ظهرت فى الشهور الأخيرة عدة دواوين شعرية ، فأثارت كثيراً من اللغط فى الصحف ، وكثرت عنها الكتابة الرديئة والحسنة ، وشاع الحديث بمناسبتها عن الشعر والأدب .

ولقد كان فى نيتى ألا أتعرض لهذه الدواوين بخير أو شر ، لأن نفوس الأدباء بمصر تضيق ذرعاً بالملاحظة والنقد ، ولا تتسع الصدور لكلمة الحق ، ويقل التسامح ، وتغلق أبواب النظر وسعة الفكر ورحابة العطف الفكرى . ولأن معظم من يكتب أو ينظم الشعر يعتقد أن الأدب نوع من الملكية الفردية يسوء صاحبها ألا تقول كلمة الأطراء عن بضاعته .

غير أن الحديث قد تشعب فى الآونة الأخيرة فى الصحف والمجلات الأدبية عن هذه الدواوين . ويسوء الناقد المخلص أن يرى أن معظم ما كتب فى هذا الموضوع لا يوجه القارىء الراغب فى الفهم ، ولا يصلح الأذواق الأدبية ويوجهها وجه الصدق وطريق الصلاح الأدبى .

وسبب آخر كان ينأى بنا عن الكتابة فى هذا الموضوع ، وهو أن صاحب « وراء الغمام » صديق عزيز علينا ، أهدى الينا ديوانه ليلة ظهوره ، وكذلك فعل صاحب « الملاح التائه » . وهما ولا شك ينتظران المديح والثناء من صديق يجلس معهما ويأنس الى صحبتهما . غير أن الموضوع فى رأينا قد تعدى أخيراً هذين الأديبين الى ما هو أخطر وأبعد شأناً ؛ تعداه الى الحديث عن طبيعة الشعر والكتابة ، وأن الأقلام قد خطرت فى هذا الطريق بكلام نعد معظمه خطرا على الحركة الأدبية فى مصر ، وفهم الفنون الأدبية على الوجه الذى يفهم منها فى الجيل الحاضر .

ولهذا رغبنا فى كتابة هذه الكلمة لا لنمدح أو نذم ، ولكن لندلى برأى فى الشعر كما نقرؤه ونفهمه ، وكما ننتظر من الكتاب والقراء أن يقرأوه ويفهموه .

وأول ما يلاحظ على هاتين المجموعتين أن ديوان « وراء الغمام » يكاد ينحصر فى الحب ومطالبه ، وأن موضوعات « الملاح التائه » تكاد تنحصر فى النظم عن مظاهر الطبيعة الكبرى كالبحر والليل ، وأن أكثر أخيلته وألفاظه هى عن النسائم والأمواج والشواطىء العامرة أو المهجورة ، وما إليهما من « الشعريات » التى تواضع العرف الدارج على أنها « الطبيعة » . فأولهما إذن يمكن تسميته « بشاعر الحب » والثانى « بشاعر الطبيعة » . فكيف يفهم صاحبنا الأول الحب ، وكيف يعى الثانى الطبيعة ، والى أى شىء منها يلتفت ذهنه ؟

والمفروض بالبداهة أن مثل هذا الشعر يكتب ليقرأه الرجل المصرى أو العربى المثقف ، الملم بشىء من حضارة هذا العصر وثقافته ، الشاعر « بوعى » هذا الزمن الذى يعيش فيه ، والذى تشغله مناظر وآراء ومسائل تثير شكوكه أو تبعثه على التفكير والتأمل والانتاج الفنى .

فلنتكلم عن الحب كموضوع شعرى يتناوله أى شاعر عصرى ، يود أن يقرأه أى مخلوق حى شاعر فى القرن العشرين ، فليس ثمت شك فى أن الحب كحاجة « فسيولوجية » هو كحاجة أى مخلوق حى الى الأكل والنوم . وهو مظهر عادى تشترك جميع الأحياء فيه (ويمكن أن يقال إن النبات والجماد يعرفان الحب أيضا والسلب والايجاب من قوانين الكون بأجمعه) فلم يختص اذن بنظم الشعر والنشيد والأغانى ؟

فاذا حدثنى صديق أو عشير بأنه يحب امرأة بذاتها ، وانه لا يطيق الابتعاد عنها ، وأنها تثير لواعج أشجانه وأمراض نفسه ، فقد يسمع مثل هذا الحديث ويحمل حينما أجلس إلى أى صديق هادىء فيحدثنى عن متاعبه ، وما يسمن من الآكال وما يستهجن ، وعما يحب أو يكره من ألوان الثياب ، ولكنى لا أطيق كقارىء

حى أن أستمع إلى شعر لا يتعدى نغمه مثل ذكر هذه الأشياء الأولية ، وإلا لكان كل فرد منا شاعراً ، لأن لكل فرد حاجاته وأذواقه وشؤونه التى تتعلق بالحب والأكل والنوم والمجىء والذهاب . فانما هذه « أبجدية » كل انسان .

أصدقائى ! . . إن هذا « الشىء » الذى نسميه شعراً والذى نود أن نقرأه نحن الأحياء العارفين لعالم الحبر والورق ، هو خلاف « الكلام الحسن » عن الأشياء العادية . إنه يتطلب وجود شاعر يأكل كبقية الناس ولا شك ، ويحب مثلهم ، ولكن نظره وأحاسيسه والتفاتات ذهنه وقفزات وعيه نحو هذه الأشياء العادية « غير عادى » ؛ وهو شىء آخر خلاف مايحس عامة الناس ويقفون عنده . ومن هنا كانت قيمة الشاعر الحق . أى أنه (ولو أننى لا أود استعمال الكلمة ولكنها كبيرة الدلالة) فيلسوف . فالحب يصبح موضوعاً جديراً بالشعر كما تصبح أية حاجة إنسانية أخرى حينما يكشف لنا الشاعر معنى ونغماً وراء مظاهره المعروفة ومصاحباته العادية . وربما لايقع من نفس القارىء هذا النغم وذلك المعنى ، وقد يبدو سخيفا أو غير صادق ، فالأمزجة تختلف ، والثقافات تتباين وتفترق ، ولكنه لايخطىء فى أن يبده أى قارىء محس بأن هناشيئا جديراً بالالتفات والعناية .

أما الشاعر الذى يبدى ويعيد فى الحديث عن ملذاته وآلامه وحسراته التى يثيرها شخص المحبوب أو ذكراه فحسب ، (مهما اختلفت القافية وتعدد الايقاع) لايعدو أن يكون انساناً لم تتسع أنانيته إلى أكثر من حاجاته البسيطة المتعارفة ، وهو يشبه العليل الذى اكتشف لذة الخبز لأول مرة ، أو الرجل الصحيح الذى حيل بينه وبين النوم ، فيفرح الأول حينما يتناول وجبة فاخرة ، ويتألم الثانى لذلك النوم الهنىء الذى طلقه الآن ، وهذه ولا شك أشياء إنسانية عادية لا غبار عليها ولا نقد فيها ، ولكن ليس فيها ما يبرر وضعها فناً يسترعى اهتمام القارئ الصحيح وربما يصلح مثل هذا الشعر ويجمل عند أناس هم دون طبقة هذا « الكوكب الجديد » الذى اكتشف « قارة الأكل » أو « قارة المرأة » ثم وقف يسبح بحمدها .

والدكتور ناجى بعد كل هذا قد قرأ بعض قصائد « لورنس » « وت . س . ايليوث » وأضرابهما من الشعراء المحدثين والقدماء عن الحب ، أولئك الشعراء الذين نراهم جاهدين يفتشون عن الله ، ويبحثون فى الجنس ونشوة العفاف الروحى ، ثم يعود كل منهم « وحقيبة وعيه » ملأى بالأحاسيس المختلفة ، والأفكار المريرة أو العذبة ، ملأى بالثعابين التى تبرق كاللؤلؤ ، وبالسلام الذى تعقبه أشد فترات الحرب تمزيقاً للأجسام والأرواح ، وبالذهول الذى يسمو إلى طبقات السماء ، وبالسخر الذى « يرى القمر فى أمسية حب أشبه ببالون يلعب به صغار الأطفال » . ثم يذكر أن المساء ينام كرجل عليل ينتظر مبضع الجراح ، وبالاختصار « بمعنى » أو « لامعنى » عظيم أو « بتيار وعى » ربما يرى فى أنامل الحبيب أقطاراً متسعة ولو أنها بادية التناقض ، أو بأحاسيس متناقضة بعيدة ، حالكة الظلمة ، أو شديدة الوهج .

ونحن لانريد من هذا الحديث أن يقلد أى أديب أحاسيس غريبة عن نفسه بعيدة عن مطارح فكره ، ولكن كقراء مخلصين نطلب منه إذا لم يكن لديه ما يؤلم ويحير ، ويسعد ويثير الشاعر والمفكر والقارئ المعاصر ، أن يريحنا ولا يكلف نفسه هذا الجهد . ففى الحياة من التفاهات اليومية ، وفى أطراد الحاجات التى نشعر بها فى صباحنا ومسائنا ما يجعلها عسيرة الاحتمال ، ويضاعف مشقة العيش ، فليس بنا ثمت حاجة إلى أن نقرأها فى عالم الحبر والورق .

والشاعر العصرى — سواء فى مصر أو فى الصين — الذى لاتثيره تيارات الفكر المعاصر ، واكتشافاته ومتاعبه ، والذى ليس له وجدان يتغير ويتفاعل Catapisis بما يسمع ويقرأ ويفكر ويشاهد من عيوب فى نظام حياتنا الحاضرة ، أو نشوز فى أنغام فكرنا المعاصر أو ألوان تسترعى الاهتمام فى نسيج الثوب الذى يلفنا ، أو فراغ فى إنسان بادى الامتلاء ، أو أغنية فى زاوية من زوايا بيتنا المعنوى ليس له ، بل لنا الحق فى ألا نعده فى عداد الشعراء المخلصين .

والظاهر أن شعراءنا يعيشون فى أجسام محدودة الفكر والاحساس بحدود جسدها وغرفها التى تسكن ، وأن الأشياء التى تبعث الرجل المعاصر على أن يفكر ويضطرب أو يغنى لاتدنو منه أو هو لم يعرفها قط . إن نظرة واحدة حيث يتقاطع شارع عماد الدين بشارع فؤاد الأول مثلاً فى أى مساء لحرية بأن تبعث فى الفنان أحاسيس وأفكاراً تصلح لأن تكون قصيدة جيدة إذا كان له من الشعر نصيب .

والذى يبدو لى من قراءة هؤلاء الشعراء والحديث معهم أنهم

الكتب

ابن سعود

سياسته . حروبه . مطامعه

بقلم مصطفى الحفناوى

كتاب كبير يقع فى نحو مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، افتتحه مؤلفه بمقدمة بليغة عن بلاد العرب منذ عصورها القديمة حتى ظهور جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، ثم تكلم عن والد الملك وعن البيئة التى نشأ فيها ، وأخذ يسرد بعد ذلك تاريخ ابن سعود ، فشرح كيف استولى على الرياض ، ثم كيف أصبح أمير نجد و إمام الوهابيين ، وتكلم عن حالة بلاد العرب ، وظروفها قبيل الحرب العظمى ، وموقف الانكليز منها ، وموقف الملك حسين من هذه الظروف وما لعبه من الأدوار ، إلى أن أرانا ابن سعود ملك الحجاز ونجد ، ثم صوره لنا بطل بلاد العرب ، وأخيراً أخذ يشرح لنا إصلاحاته ومقاصده إلى أن اختتم الكتاب بملحق عن الحرب الأخيرة بين الحجاز واليمن ، وما آل اليه أمرها .

فأنت ترى أن الكتاب حافل بالمعلومات التى يتوق اليها من يميل إلى معرفة سيرة ابن سعود وبلاد العرب ، والحقيقة أن حاجة مصر الى هذه المعرفة حاجة شديدة ، ولذلك كان اغتباطى بهذا الكتاب عظيما ، ولقد وضع صاحب السعادة محمد على علوبة باشا مقدمة قيمة له ، تحدث فيها عما شاهده فى بلاد العرب أثناء سفره فى مؤتمر الصلح ، وإنى أشاطر الباشا رأيه إذ يدعو مصر « أن يكون لها هناك صوت مسموع ومشورة نافذة ، وأن تتبوأ المركز الذى وضعتها فيه العناية الالهية فى الأقطار الشرقية ، وفى مقدمتها مملكة العرب »

ولقد قرأت هذا الكتاب القيم النافع ، فبرزت لى فيه بعض

أن ليس فى حياتهم الفكرية والشعورية أى شىء يشبه الصحارى العارية الجرداء ، أو الظلمات الحالكة ، أو البريق الخاطف ، أو الحيرة الشاعرة ، أو أى اشتغال جدى بناحية من نواحى حياتنا الراهنة ، وأن الشكوك والمذاهب والقيم الفكرية التى تحرك الفنان العصرى فى أوروبا إلى الثورة حيناً ، وإلى السأم حيناً آخر . أو إلى أى فلسفة أو « عدم فلسفة » يكتشفها الفنان المرهف الاحساس ، الواسع العطف ، القدير الفهم ، وراء مظاهر الحياة اليومية من عمل ونوم ، وأكل وحب ، ومال وجنس ، مايجعله يقف وقفة قصيرة أو طويلة يحاسب نفسه ويحاسب العالم بأجمعه ، أو يجرؤ على حوار مع الطبيعة أو الأحياء أو ما وراءها ، لم تدن منه أو هو لم يعرفها أبداً .

ليس الشعر أيها الأصدقاء بالمادة الكاملة الصنع التى يمكن أن نشتريها جميعاً من الحانوت . أو يمكن صنعها كما تصنع الثياب على هذا الطراز أو ذاك . إنما الشعر هو « تجربة حية » يحسها شخص حى ، ويبصرها وجدان نير ، وهى تجربة فردة لم تحصل ولم تر إلا كما حصلت وكما رآها ذلك الشخص الحى ، ثم يحاول نقلها وإيصالها عن طريق الكلم والايقاع — على قدر مهارته — إلى أمثاله من الأحياء الشاعرين .

وشعر صديقنا ناجى ما زال نغماً واحداً بسيطاً لايتعدى — بعد زخرفة النظم — إحساس رجل عادى حينما يرى وجهاً مشرقاً ، أو جسماً جميلاً أو عملاً عظيماً . فيقف مشدوهاً ويقول : « ما أحلى ذلك الوجه ، وأى ألم أحس به لحرمانى من ذلك الشكل البديع » إلى آخر الأحاسيس التى تحسها أى مادة تحس ، وإنها لتبدو لى فى بداءتها وطفولتها بما يسمى « رد الفعل » « Reflex action » . وليصدقنى القارئ أن هذا هو كل ما يخرج به الانسان من شعر ناجى بعد تجريده من صناعة « الكلم » ورنين القافية . أما الرنين « والكلام العالى » كما يسمونه ، فقد أفضل أن أسمع الأول من « الجازبند » والثانى من الخطابة ، ولا أهرع للشعر لأسمع شيئاً من ذلك !

بقية المقال فى العدد القادم

معاوية محمد نور

مظاهر ، رأيت مع احترامى لآراء مؤلفه الفاضل ، وتقديرى لمجهوده أن أشير اليها إشارة وجيزة .

الكتاب شيق جذاب ، لن تضعه حتى تتمه ، ومن حسناته البارزة كثرة ما احتوى عليه من المعلومات ، مضافاً إلى ذلك حسن ترتيبها ومهارة سياقها ، غير أننى آخذ على المؤلف موقفه فى الغالب موقف من يكتفى بسرد الحوادث ، ولعل هذا يفسر لى ما أشار إليه المؤلف فى نزاهة وصراحة على غلاف الكتاب من أنه عن « ولميز وآرمسترنج بتصرف » فان إعجابه بابن سعود أولاً ، وبما كتبه هذان المؤلفان ثانياً ، قد حفزه إلى وضع كتابه ، فحماسته فيه ظاهرة ، وتحيزه إلى الملك واضح ، لذلك اكتفى كما ذكرت بسرد الحوادث ، ولم أجده برغم استعداده وما يتجلى فى عباراته من آثار ذكائه ، يعلق عليها معللاً استحسانه إذا استحسن ، أو استنكاره إذا استنكر ، و أظن ذلك أمراً جوهرياً فى صدد الكتابة عن بطل من الأبطال ، فالمؤرخ فى مثل هذه الحالة مطالب بأن يشرح الحوادث شرحاً علمياً ، مفنداً أوجه الصواب أو الخطأ مع ذكر الأدلة العلمية والأمثلة التاريخية كلما أمكن ذلك ، وبهذا تظهر شخصيته ، ويصبح لكتابه الى جانب ما يحوى من معلومات قيمته العلمية . كذلك ليسمح لى الأستاذ أن أعيب عليه هذا التحيز لابن سعود ، فهو لا يرى فيه إلا بطلاً ، فان أعانته الظروف أرجع الفضل إليه ، أو اكتفى بقوله إنه نصر من عند الله ، وإن أخطأ استخدام الظروف ، أشاد بعبقريته ونفوذه . ومما لاحظته بنوع خاص أن المؤلف يحمل على الانجليز حملات مباشرة مشيراً الى أطماعهم ومظالمهم فى عبارات سطحية أشبه بمقالات الجرائد ، وكان خيراً له فيما أعتقد وأجدى عليه ، أن يوضح أطماعهم ، ويترك للقارىء التعليق عليها ، فالأبحاث العلمية يجب أن تطبع بطابع الهدوء والرزانة ، ولن يعدم المؤلف القدير أن ينال من أعدائه بهدوئه ومهارته أضعاف ما يناله بحدته وضجيج عبارته .

على أن هذه المآخذ لن تغير من جوهر الكتاب ، ولن تقلل من نجاح المؤلف النابه فيما قصد اليه ، ولئن قدرت كتابه بما ترك فى نفسى من أثر ، فضلا عما احتوى عليه من شتى المعلومات ، فانى أشهد أنى استمتعت بقراءته واستفدت منه كثيراً ، وإنى أدعو كل أديب الى قراءته موقناً أنى أدله على أثر نافع طريف .

الخفيف

أصول التدريس الحديث

عن كتاب « التربية الممارسة » لشارتيه

تعريب واقتباس سامى الدهان

...

يبحث هذا الكتاب فى طريقة تدريس المواد المختلفة ، وهو مطبوع طبعة جيدة فى مطبعة العصر الجديد بحلب ، على ورق جيد ، ويقع فى نيف ومائتى صفحة من القطع المتوسط . تعرض مؤلفه لطرق تدريس الأخلاق ، والقراءة ، والخط ، واللغة ، والاملاء ، والمحادثة ، والأنشاء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والتدبير المنزلى ، وإنك لا تكاد تقلب صفحاته حتى تشعر بمتانته ودقته ، وتحس بما لمؤلفه من خبرة ومران وسعة اطلاع ، ودقة بحث . خذ لذلك مثلا : أصول تدريس الخط ، فترى المؤلف قد ألم بجميع نواحى الموضوع ، فهو يتكلم عن درس الخط وفائدته ، ثم يتكلم عن الخط والصحة مشيراً إلى مساوىء الجلسة المعوجة ، ومحاسن الجلسة المستقيمة ، ثم يذكر كيفية تدريسه ، والى فائدة النماذج الخطية ... الخ .

من ذلك ترى مقدار اهتمامه بموضوعه . ولقد أعجبنى بنوع خاص ما ذكره عن تدريس التاريخ فتساءل أولاً عن فائدة هذه المادة ، ثم بين فوائدها الوطنية والاجتماعية والخلقية ، وشرح أهمية التاريخ من وجهة الثقافة العقلية ، وبين مقدار ما يجب أن يوزع منه فى المناهج بحسب الفصول الدراسية ، وأخيراً ذكر طريقتى تدريسه . ولقد تبينت فى بحثه الروح الفنية العلمية ، التى تميز الراسخين فى العلم من سواهم ، لذلك أقرر أن الأديب الفاضل سامى الدهان قد أحسن الى اللغة العربية والناطقين بها بنقل هذا الكتاب اليها ، وأعتقد أن المدرسين سيجدون فيه فائدة عظيمة ، فانى وإن كنت أعتقد أن الطرق الخاصة بتدريس المواد تختلف فى مملكة عنها فى أخرى ، بل وفى مدرسة عنها فى مدرسة ، فضلاً عما يطرأ من الظروف المحلية والمؤقتة ، مما يجعل التمسك بطريقة خاصة أمراً مستحيلاً . أقول إنى على الرغم من هذا أعتقد أن القواعد لابد منها ، والمدرس الكفء جدير بأن يستأنس بها وأن يكيف ظروفه على ضوئها ، ولهذا أحمد للمعرب مجهوده ، وأثنى على مقدرته فى التعريب ، ولا شك أنها نتيجة لصحة فهمه ما عرب وصدق ميله اليه ؟

الخفيف